الدكتور قيصر أديب مخول
الكلية الآسيوية وأستاذ الفلسفة في جامعة الفيليبين

المسلمون في الفيليبين

الماضي الحافل والحاضر الدامي والمستقبل المأمول

تعريب
الدكتور نبيل صبحي

مؤسسة الرسالة - بيروت

إهـــــداء 2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد

القاهرة

الدكتور قيصر أديب مخول
عميد الكلية الجامعية
وأستاذ الفلسفة في جامعة الفيليبين



الماضي الحافل والحاضر الدامي ... والمستقبل المأمول

تعريب

الدكتور نبيل صبحي

مؤسسة الرسالة
بيروت - ص . ب ٤٤٧٩٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي جعل حياة المسلم المؤمن جهاداً مستمراً وجعل الصبر الجميل سمة من سمات المؤمنين المرابطين ، ولعلّ الجهاد والمرابطة هما أبرز ما يجب أن يتحلى به مسلمو اليوم.. فالجراحات في دار الاسلام تنزف بغزارة في كثير من ثغورها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً .

ولقد وصل الحقد والفشل بأعداء الاسلام حداً يئسوا معه – على ما يظهر – من نجاح أدواتهم في الاستعمار والتبشير والغزو الفكري ... فعادوا سيرتهم الأولى !! في التصفيات الجسدية والمذابح الوحشية التي كانت أهم (إنجازات) ! محاكم التفتيش والحروب الصليبية .

ويشهد هذا القرن – منذ مطلعه – الهجمة تلو الأخرى على

دار الاسلام مـن جهات ومجموعات لا تجمعها فكرة ولا رابطة اللهم إلا الحقد المسعور على الاسلام والتعصّب المريض ضد أبنائه، ويستوي في ذلك أهـل المعسكرين الكبيرين من ملحدين ... ومتديّنين !! أهل كتاب ... وعبدة بقر ...، أفريقيون ... وآسيويون ..، أوروبيون وأميركان.

والفتنة الـتي تلف المسلمين الأبرياء في جنوب الفيليبين اليوم ليست إلا حلقة في سلسلة الهجمات الآنفة الذكر التي يأخذ بعضها برقاب بعض : فلسطين...واريتريا... وتشاد ... وزنجبار... شبه القارة الهندية وجنوب شرقي آسيا، وعشرات الملايين من المسحوقين في جحيم الاشتراكيات ... الحمراء ... والصفراء، ومئات الملايين من المظلومين في البلاد المسلمة الـتي ابتلاها الله بحكام عبيد صنَعَهُم الاستعمار الجديد على عينه . ومن خلال هذه الجراحات والمآسي يدوّي الصوت المؤمن رافعاً راية الحـق منافحاً ... مناضلاً ... مدافعاً... مهاجماً، يرد التهم ويكشف الأباطيل وينشر الوعي الصحيح بين الجماهير المؤمنة .

والمفكر المسلم يكون دائمـاً في طليعة المجاهدين قلباً ويداً ولساناً، والكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء هو ثمرة مـن ثمرات جهـاد أبرز المفكرين الاسلاميين في الفيليبين كتبه في الأصل لتوعيـة جمهور المسلمين في الفيليبين . إلا أنه موجز دقيق لماضي مسلمي الفيليبين المجيد وحاضرهم المؤلم واحتمالات المستقبل في بطـن الغيب، وضمّنه الكاتب بعض التوجيهات

القيّمة في اسلوب العمل الذي يجب أن يسير عليه شباب الاسلام هناك .

ومع دعائنا الدائم أن يكشف الله الغمة عن اخواننا المسلمين المرابطين هناك ، نأمـــل أن يسهم الكتاب في نشر الصورة الصحيحة لوضع الاسلام والمسلمين في الفيليبين .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الناشر

مقدمة المترجم

... وتمر سنوات ثم يشاء الله أن ألتقي ثانية وثالثة بأخي العالم الفاضل الدكتور قيصر أديب مخول في مانيلا ، وكان اللقاء الأخير ... حزيناً، فالمذابح المتتابعة للمسلمين في جنوبي الفيليبين تدمي قلب كل مؤمن بلْهَ كل إنسان يشعر بآدميته .

يممتُ شطر بيت الدكتور قيصر في منطقة السكن الجامعية حول جامعة الفيليبين ، حيث بناه الدكتور على طراز بيوت دمشق ليشعر أنه يعيش دائماً في أجواء أهله وإخوانه في دمشق المؤمنة ، وما كدت أطرق الباب – أنا ورفيقي إمام مسجد مانيلا – الأستاذ الياس اسماعيل حتى سارع الدكتور قيصر فاتحاً لنا باب داره وذراعيه ، وعانقني محيياً مردداً بالعربية : أهلاً وسهلاً بأخي نبيل ، وكان في صوته رنة ألم لم أعهدها فيه من قبل ، وكنت لم أره منذ نيسان – ابريل – ١٩٧٠ م ، ولاحظت نظارات سوداء كثيفة تحجب عني عينيه الذكيتين الوديعتين البراقتين ، وكأنما ... لاحظ الدهشة على وجهي فبادرني قائلاً بلسان المتوكل على الله الراضي بقضائه ، بالعربية العامية « أنا نصْ أعمى .. الآن » كما ترى يا أخي !.

ولقد اصيب الدكتور قيصر بانفصال الشبكية منذ أشهر عدّة عندما كان في إحدى المؤتمرات في المغرب العربي ، ورغم جراحات متتالية ثلاث لا زال فاقد البصر تقريباً في إحدى عينيه ضعيفة في الأخرى ، إلا أن الأمل باق باستعادة كامل بصره بإذن الله .

وقضيت مع الأخ الدكتور قيصر أكثر من ساعة وهو يلح ببقائنا رغم تعبه ، وكان أول حديثه لي – بالانكليزية – ما معناه :

يا سبحان الله... أتعلم أنني تذكرتك – والله – هذا الصباح بالذات وأنا لم أرك منذ سنتين ولم أكتب لك خلالها وبيني وبينك آلاف الأميال ... ولا عجب في ذلك – يا أخي – فالأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف !.

وتحدثنا في شؤون الساعة بالنسبة لمسلمي الفيليبين ، وقدّم لي الدكتور قيصر نسخاً من كراسات كتبها – أخذ الله بيده وثبته على الحق – والكراسات مثال يُحتذى لكل عالم عامل مجاهد ، فجرأة الدكتور قيصر في الحق لا مثيل لها إلا عند قلة من العلماء المجاهدين ، ومن يعرف أوضاع الفيليبين يعي تماماً ما أعني ، ولقد وهب الله الدكتور قيصر الذكاء والعلم وبراعة الأداء بالاضافة لإيمان عميق وعمل دائب .

ولعلني لا اذيع سراً إذا قلت ان الدكتور قيصر هو الرجل المسلم الوحيد الذي يكن له مسلمو الفيليبين – على اختلاف فئاتهم

المتناحرة — كل احترام وحب ويجمعون — بلا استثناء - على زعامته الفكرية، فهو نظيف اليد واللسان ثابت الايمان والجنان.

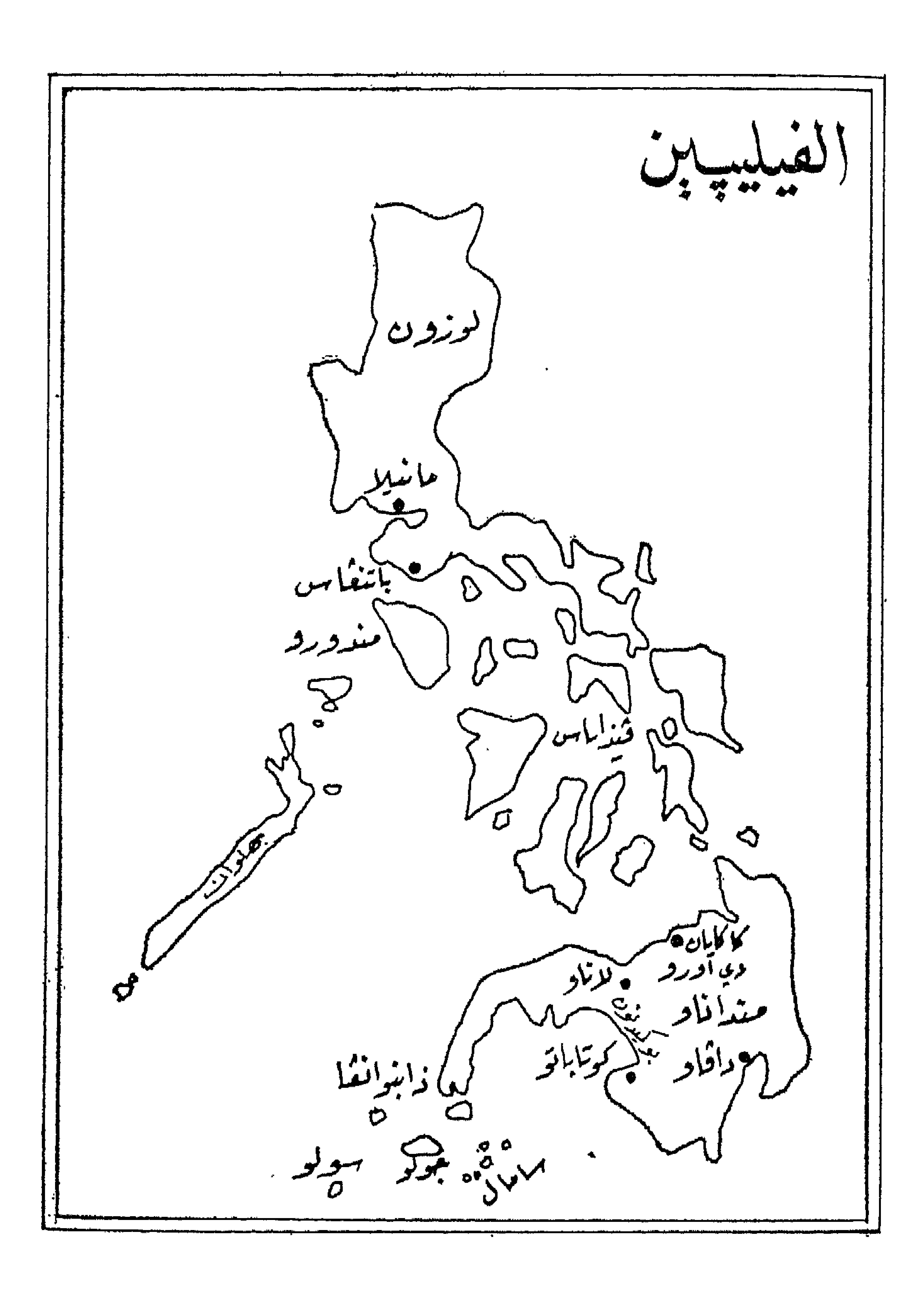
وفي هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين في الفيليبين ... بل المسلمين جميعاً في أقاصي الأرض ، وبعد قراءتي للكراسات ، وجدت أن ترجمة إحداها للغة العربية هي من أولى الواجبات فضلاً عن كونها ، بالنسبة لي ، تعلماً واستفادة من اسلوب الدكتور قيصر العلمي الرائع في التحليل الدقيق والإحاطة الشاملة والصراحة المحمودة وقولة الحق التي لا تخاف أي سلطان.

وآمل أن يساعد هذا البحث المختصر للمسلمين في الفيليبين ، عن ماضيهم وحاضرهم وبوارق مستقبلهم ، كل قرّاء العربية وكل مهتمّ بالقضية ، على فهم خلفيّتها التاريخية وواقعها الأليم وإمكانات الإنقاذ المطروحة على ضمائر القادرين والمسؤولين في دار الاسلام .

وأنتهز الفرصة ، في هذه المقدمة ، لأقدم باسمي وباسم إخواني القراء كل شكر للدكتور قيصر لتفضله بالسماح بترجمة الكراسة من الانكليزية للعربية .

وآمل من كل قارىء مؤمن أن يشاركني في الدعاء لله عز وجل أن يعافيَ الأخ الدكتور قيصر ليستمر — بطاقته الحالية — في حمل الرسالة وأداء الأمانة جزاه الله عنا جميعاً خير الجزاء .

نبيل


الفيليبين
لوزون
مانيلا
باتنغاس
مندورو
ڤيزاياس
بهلوان
كاكايان
دي أورو
لاناو
منداناو
داڤاو
كوتاباتو
زامبوانغا
سامال
جولو
سولو

الفصل الأول

وصول الإسلام للفيليپين

قد يكون الوعيُ بوجود ماض طويل من الأمجاد . . مفيداً . . أو مُضِراً ؛ والضرر يأتي عندما يعيش الناس على ذكريات ذلك الماضي ويهملون الحاضر . . . وبالتالي المستقبل . والواقع ان مثل هؤلاء الناس ينعزلون ليعيشوا في قوقعاتهم آملين — عبثاً — من ماضيهم ان ينقذهم في يوم من الأيام بينما الذي يحصل فعـلاً هو انحدارهم تدريجياً ليصبحوا في عداد مجموعة الشعوب المهملة المنسيّة .

إلا ان الوعي بامجاد الماضي قد يكون حافزاً نشاطات مبدعة ليس فقط من أجل استعادة تلك الأمجاد بل لإثبات ان الطاقات التي انتجت امجاد الماضي لا تزال قادرة على تحسين الحاضر وبناء المستقبل الأفضل ؛ ومن هذه الزاوية نرى ان مسلمي الفيليبين هم في موقع حسن يحسدون عليه ، إذ ليس عندهم فقط إحساس طويل بتاريخ عريق لا يملكه غيرهم من أبناء الفيليبين ، بل إنهم يعون ان الإسلام كان لتاريخم هذا لُحمَتَهُ . . . وسداه .

فلقد اعطى الإسلام لهؤلاء الصلابة والعزم فوق ما كانوا يتمتعون به – طبعاً – من روحيّة عالية ، ووفر الإسلام لهم احساساً قوياً بهوّية واضحة والتزامات محددة واتجاه راسخ المعالم ؛ وتاريخ وصول الاسلام للفيليبين وانتشاره في الأرخبيل، كذلك جهاد المسلمين الطويل هناك للحفاظ على هوّيتهم الإسلامية يشكل قمّة الروعة وهو ملك جميع الشعوب المسلمة في العالم إذ تفخر وتعتزّ بإنجازات إخوتها في العقيدة ... مسلمي الفيليبين .

وصل الإسلام للفيليبين بعد انتشاره في أراضي الشعوب الملاويه في جنوب شرقي آسيا ، فلقد جاء على طريق التجارة البحرية ، ورسخّ اقدامه بصورة عامة أولاً في جزر المحيط الهندي الأكثر قرباً لمراكز الإسلام القديمة . فلقد ُوجد التجار المسلمون في أكثر جزر المنطقة الماليزيَة (*) ، وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان في شمال سومطرا جالية إسلامية كبيرة ، وما ان حلّ القرن الرابع عشر حتى كان حكام ووجهاء بعض المقاطعات في سومطرا – وربّما في جاوا أيضاً – من المسلمين و وعلى أساس الدراسات الأثرية والمعلومات المكتوبة في السلاسل التاريخية يمكن القول الآن – بشيء من الدقة – : كان هناك في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي مستوطنات للمسلمين في جزيرة (جولو) جنوبي الفيليبين في نفس الوقت التي كانت

(*) كلمه ماليزيا تستعمل في هذا البحث بمعناها الجغرافي لا السياسي ، وتضم شبه جزيرة الملايو ، وجزر اندونيسيا ، وبورنيو ، والفيليبين .

المقاطعات المسلمة قائمة في شمال سومطرة ، وينتمي (توهان مقبال) الذي مات ودفن في جزيرة سولو عام ١٣١٠ ، لمستوطنات المسلمين في جزيرة جولو ، وكان (مقبال) مسلماً من خارج الفيليبين ، وليس من المؤكد تماماً حتى الآن : هل كان (مقبال) عربياً أو فارسياً أو هندياً ، ولا يزال قبره باق إلى اليوم في (باد داتو) على بُعدِ أميال قليلة من جولو . ولتلك الحقبة التاريخية ينتمي أيضاً (سيدّ المشايخ – Tuan Mashaikh) (**) المذكور في شجرة العائلة لجزيرة سولو وهو الذي خلّف عدّة مسلمين من ابنائه ، كما تدل على ذلك اسماؤهم .

وبعد جيلين من وفاة (سيد المشايخ) شهدت سولو قدوم المسلمين الدعاة كجزءٍ من حركة شملت جزيرة جاوا وشمال جزيرة بورنيو ، وكان أكثر هؤلاء الدعاة إمّا من الصوفيين أو من المتأثرين بالحركة الصوفية ، وتسميتهم « بالأولياء » وإضفاء صفات القوى .. « السحرية » عليهم يشير إلى هـــذا الاتجاه . ومن المعلوم أن سقوط بغداد بأيدي المغول عام ١٢٥٨ ميلادية أدى لهجرة كثيرة من العلماء والمسلمين والصوفيين إلى إيران والهند ومن هذين البلدين جاء هؤلاء الدعاة أو تلامذتهـم إلى المنطقة الماليزية ، ولهذه المجموعات من الدعاة ينتمي « كريم المخدوم » ولعل كثيراً من هؤلاء « المخدومــين » نزلوا على شواطيء جزيرة سولو ، وهذا يفسر تعدّد الأضرحة في سولو

(**) كلمة توان – Tuan بالملاوية تعني « سيد » .

التي يقال عنها انها كانت « للمخدومين » ، وكان من المتوقع ان يستمر أبناء واحفاد « المخدومين » في مسعى آبائهم واجدادهم المسلمين المهاجرين لنشر الإسلام، أو على الأقل كانت مستوطناتهم مركزاً لانطلاق الدعاة ونشاطاتهم .

وما ان جاء منتصف القرن الخامس عشر حتى كان عدد الذين اعتنقوا الاسلام في (بوانسا) في جولو كبيراً لدرجة أنهم اسسوا سلطنة مستقلة وكان أول سلطان لهم هو (شريف الهاشم) وقبره لا يزال موجوداً حتى الآن على إحدى منحدرات جبل (تومانتا نغش) بالقرب من مدينة (بوانسا) ؛ وكانت سلطنة (سولو) تمثل أول نظـــام سياسي مركزي راقٍ وُجد في الفيليبين ، ومع الوقت توسعت سلطة الحاكم فتعدت ارخبيل سولو ووصلت حتى (زانبوانغا Zamboanga) .

وإبان حكم أول سلطان اسست المدارس وطُبقت بعض تعاليم الشريعة ومن المرجح قيام مستوطنة إسلامية قريبة من مصب نهر بازينغ – المنطقة المسماة اليوم (فورت سانتياغو Fort Santiago) في فترة حكم السلطان بُولقيّه في بروناي – غربي جزيرة بورنيو – فلقد تزوج سلطان بروناي من أميرة من سولو ، ومن المعروف انه كان هناك صلة قربى وثيقة بين العائلات الحاكمة في (سولو) و (بروناي) ، ويمكن القول ، على هـــذا الأساس ، ان حكام المستوطنات في بورنيو وفي (بازينغ) كانوا اقارب حكام (سولو) ومع حلول هذه الفترة

أصبح للإسلام جذور راسخة في اكثر أنحاء (سومطرا) و (جاوا) وكانت له أيضاً قاعدة ثابتة في شمال جزيرة (بورنيو) وقسم من شبه جزيرة الملايو . وكانت مدينة (مَلقَا) التي أسسَتْ في أوائل القرن الخامس عشر ، مركزاً للدراسات الإسلامية .

على ان عام ١٥١١ شهد حادثة كبيرة كان لها أكبر الأثر في انتشار الاسلام بجنوب شرقي آسيا ، فبعد أن أبحر البرتغاليون حول رأس الرجاء الصالح وهزموا بعض اساطيل المسلمين في المياه العربية ، استطاعوا ان يحتلوا (ملقـا) . وكان مجيء البرتغاليين لجنوب شرقي آسيا لأهداف اقتصادية كالسيطرة على تجارة التوابل ، كذلك لأغراض دينية وهي القضاء على الاسلام ونشر المسيحية في أرض الملايو ، ومجيء البرتغاليين كان بداية دخول الأمبريالية والاستعمار الغربيين لهذه المنطقة من العالم ، إلا أن السلطان محمود – آخر حاكم لملقا – هرب إلى جزيرة سومطرا واسس هو ومن بعده أقاربه سلطنات جديدة حاولت جهدها المحافظة على استقلالها ومواجهة البرتغاليين ، وحسب السلاسل التاريخية الموجودة في (ماجنداناو) نزل (محمد كابونسوان) – وهو احد أبناء البيت الحاكم في ملقا – في (مالابانك) في منطقة أرانون وأسس مملكة مسلمة بمساعدة (سامال) ، وكان ذلك على وجه التقريب عام ١٥٢٠ م ، والمظنون أن بعض الدعاة المسلمين وصلوا قبل هذا التاريخ حتى منطقة (بولنجي) ؛ وربما ما كان باستطاعة هؤلاء الدعاة التأثير لو لمْ يدعم جهودهم الأولية

ويستمر بها ويقويها حماس ودعوة (محمد كابونسوان) وعندما بلغ الإسبان ـ بقيادة فلالوبوس منطقة (بولنجي) عام ١٥٤٣ م حاربهم الشريف (ما كالانغ سريبادا) ابن (محمد كابونسوان) . ورغم قدوم البرتغاليين وخسارة (ملقا) عام ١٥١١ ، استمرّ الاسلام في التوّسع فيأجزاء أخرى من المنطقة الماليزّية ؛ويعتقد بعض المؤرخين ان وصول البرتغاليين هو الذي أثار مقاومة أهل الملايو ضدهم وحثّ الدعاة المسلمين في جاوا على نشر الاسلام حتى منطقة (ترنيت)؛ كذلك استمر التجار المسلمون والدعاة، كذلك في الابحار من غربي آسيا .

وكما أحس البرتغاليون أنهم مسيحيون وان المسلمين هم اعداؤهم التقليديون في حوض البحر المتوسط كذلك وعى الملاويون تماماً أنهم مسلمون وان البرتغاليين الأجانب جاؤوا لتحويلهم إلى المسيحية وتخريب حياتهم الاقتصادية ، وهكذا لعب الوعي الإسلامي دوراً حيوياً في مقاومة سكان المنطقة الماليزيــة للاستعمار البرتغالي .

وعندمــا وصل الاسبان بقياده (ليكاسبي) لأرخبيل الفيليبين عام ١٥٦٥ م كان الاسلام يتوّسع ببطء في تلك الجزر، وفي ذلـــك الوقت كانت سَلطنات (سولو) و (مندناو) و (بُوايان) قائمة مترابطة بصِلةِ القُـربىَ ، وكانت (مانيلا) جنوب (باسيغ) إحدى البلديات المسلمة تحكمها عائلة متصاهرة مع العائلة الحاكمة في (بروناي) ، وكانت أحكام الشريعة

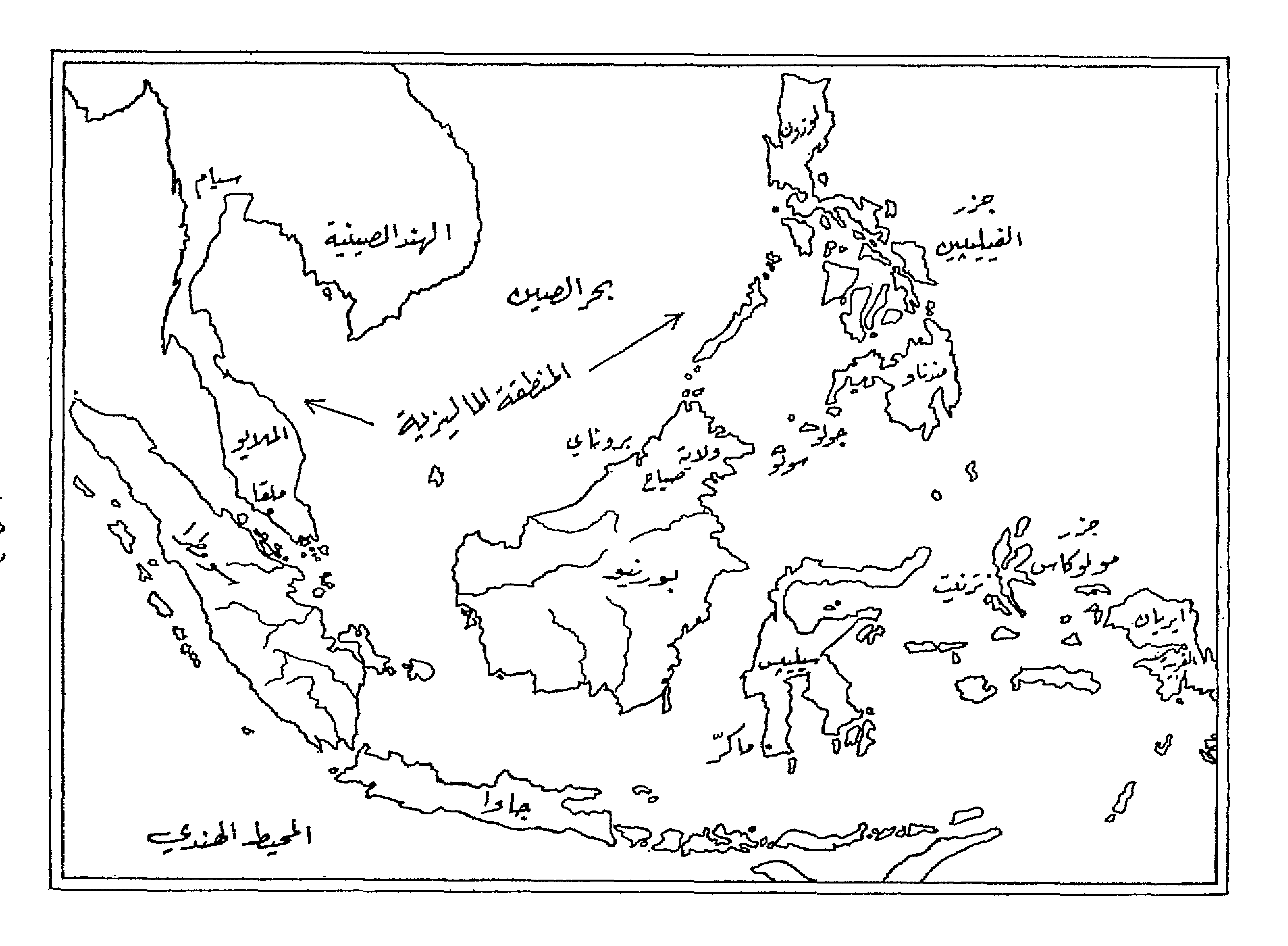
الاسلامية مطبقة في عدة مستوطنات في خليج مانيلا لدرجة إن الاسبان سموا سكان تلك المنطقة كلهم (المورو س Moros)[*] ومرّت فترة غير قصيرة قبل أن يعي الإسبان ان عدداً كبيراً من السكان هناك كانوا غير مسلمين ولذا اطلقوا عليهم اسم (الانديوس — Indios)

وكان وصول الإسبان ومن بعدهم الهولنديون والانكليز بدء نفوذ الغرب الامبريالي الاستعماري للمنطقة الماليزية .. وجاءت ، مع هذا النفوذ ، العقائد والافكار المسيحية ، كذلك ، وعلى نفس النمط ، كان نضال مسلمي الفيليبين ضد الإسبان جزءاً من نضال شامل قام به مسلمو منطقة ماليزيا ضد الغزو الاستعماري الآنف الذكر . والذي اقصده من هذا الكلام هو التالي : إذا اردنا ان نفهم تماماً الإطار التاريخي لمقاومة مسلمي الفيليبين للغزو الغربي الاستعماري يجب ألاّ ننظر اليها كحادثة تاريخية منعزلة ، فهي ذات مغزى كبير عندما نقيمها كجزء من نضال الشعوب المسلمة في جميع أطراف جنوب شرقي آسيا ضد الاستعمار الغربي .

وبقدوم الاسبان للفيليبين انتهت الولاية المسلمة في (مانيلا) وأزيلت المستوطنات المسلمة في (مندورو) وطُوّق الدعاة المسلمون من جزيرة (بورنيو) العاملون في (باتانغاس

(*) (المورو) هو الاسم الذي اطلقه الاسبان على مسلمي شمال افريقيا والأندلس .

Batangas) ، ومن ذلك الوقت انحصرت قلاع الاسلام في الفيليبين بجزيرتي (سولو) و (منداناو). ويستطيع المسلمون ان يفخروا ويعتزّوا ، فطيلة وجود الإسبان في الفيليبين – اكثر من ثلاثمائة عام – بقيت أكثر هذه القلاع المسلمة صامدة ، وممّا يزيد من اعتزاز مسلمي الفيليبين انه في الوقت الذي صمدت فيه قلاعهم . . حتى نهاية القرن التاسع عشر ، سقطت شبه جزيزة الملايو بأيدي الانكليز واصبحت اكثر الجزر الأندونيسية تقريباً خاضعة الملايو بأيدي الانكليز واصبحت أكثر الجزر الاندونيسية تقريباً خاضعة للاستعمار الهولندي . ولم يكن ذلك ناتجاً عن عدم بـــذل الإسبان لكل جهودهم لاخضاع مسلمي جنوب الفيليبين ، أو لأنهم لم يهتموا بذلك ، فالحقيقة هي ان أسبانيا لم تدّخر وسعاً ولا رجالاً في محاولتها لإخضاع المسلمين هناك ، وفي السنين العشرين الأول من القرن السابع عشر سقطت أكثر المناطق غير المسلمة في أرخبيل الفيليبين بأيدي الإسبان ، في الوقت الذي كانت غزوات الاسلام لأراضي المسلمين ترتد فاشلة بدرجات متفاوتة .


سيام
الهند الصينية
بحر الصين
المنطقة الماليزية
الملايو
ملقا
سومطرا
لوزون
جزر
الفيليبين
منداناو
جولو
سولو
بروناي
ولاية
صباح
بورنيو
سيليبس
ماكسّر
جاوا
جزر
مولوكاس
ترنيت
ايريان
المحيط الهندي

الفصل الثاني

حروب "المورو"

يمكننا أن نميز بسهولة ست مراحل في تاريخ مقاومة المسلمين للغزو الأسباني – أو حروب المورو ، كما يسميها الغربيون – . بدأت المرحلة الأولى بقدوم الأسبان عام ١٥٦٥ وانتهت بالغزو الأسباني لبروناي عام ١٥٧٨ ثم عام ١٥٨١ وتضم هـذه المرحلة هزيمة (الراجا سليمان) حاكم مانيلا ، واستسلام راجا (لاكاندولا) حاكم (توندو) . وقبل هـذه المرحلة كان نفوذ (بورينو) الاقتصادي يتعاظم في الفيليبين ، كذلك كانت نشاطات الدعاة من بورينو العاملين في جزيرتي (لوزون) و (مندورو)، وكان الأسبان يعتبرون أهل (بورينو) منافسين لهم ، لذا اعتمدوا سياسة الاستيلاء على كل مركب قادم من (بورينو) عندما يستطيعون ذلك ليتمكنوا هم –أي الإسبان– من ممارسة السيطرة الدينية والاقتصادية على تلك الجزر ، ولقد استطاع الاسبان احتلال (بروناي) عن طريق استغلالهم

للخصومات الداخلية في البيت المالك في (بروناي) وكان ذلك عام ١٥٧٨ ونصّب الأسبان على عرش (بروناي) من رغبوا فيه إلا أن الأمر لم يَسِرْ حسب هواهم لذا أعادوا احتلال (بروناي) عام ١٥٨١ ، ورغم نجاح الإسبان في كسب بعض المعارك إلا أنهم لم يتمكنوا من إقامة مستعمرات دائمة في جزيرة (بورنيو) وفي (بروناي) ، إلا أنهم استطاعوا إزالة النفوذ السياسي لبروناي من الفيليبين ، على الأقل في الجزر التي تمكنوا من تهدئتها والسيطرة عليها . ولم تدم المرحلة الثانية إلا فترة قصيرة من عام ١٥٨٧ إلى عام ١٥٩٩ تقريباً ، فبعد هزيمة بروناي وإزالة نفوذ تجار (بورنيو) ودعاتها من الفيليبين حاول الاسبان إضعاف سلطنتي (سولو) و (ماجنداناو) وجعلها خاضعتين للنفوذ السياسي الأسباني،وجرت محاولات لاقامة مستعمرات في جزيرة (مندناو) ولكن الأسبان لم يحصلوا إلا على ولاء رمزي من سلطان (سولو) وفشلوا بالاتصال بسلطان (ماجنداناو) ، كذلك فشلت حملتهم على (بوايان) عام ١٥٩٦ ، واختاروا بعد ذلك قائد الحملة الفاشلة هذه ليكون حاكماً (لمندناو) واسم القائد (فيكيروا) ، إلا أن أحد أقرباء حاكم (بُوَايان) قتله بطعنة خنجر وأجبر الأسبان بعد مدة قصيرة على التخلي عن تحصيناتهم ومستوطناتهم في (مندناو) .

وفي المرحلة الثانية هذه – لحروب المورو –،حصلت مؤامرة (توندو) عام ١٥٨٧ التي دبرها بعض أعضاء العائلة الحاكمة الذين

لم يطيقوا حكم الاسبان،وأهم ما في هذه المؤامرة هي محاولةهؤلاء الاتصال بسلطان (بروناي) للحصول على عون مادي وحربي لمقاومة الأسبان . ومن هذه المحاولة، بالاضافة لمساعدة (ترناتان) لأهل (ماجنداناو) في مقاومة الأسبان يظهر أن صراع مسلمي الفيليبين مع الاسبان كان جزءاً من صراع أوسع ضد الغربيين المستعمرين ، وأظهر مسلمو المنطقة الماليزية ، بصورة عامة ، انهم يحملون قيماً واحدة ويدافعون عنها بدمائهم وأموالهم .

وبدأت المرحلة الثالثة (لحروب المورو) بهجوم المسلمين على الاسبان في جزر (الڤيزاياس Vizayas) ، ومنافسة الاسبان على ولاء أهل هذه الجزر ، وصار المسلمون يهاجمون المدن ويفرضون على سكانها الضرائب ويهددونهم ليمنعوهم من الانخراط في سلك الجندية للقوات الاسبانية، ويأخذون العديد منهم للعمل معهم في المراكب الحربية وذلك لإنقاص القوى البشرية العاملة في الجيوش الاسبانية ، إلا أن الغزو الاسباني لجزر (المولوكاس Molucas)عام ١٦٠٦ كشف الجناح الجنوبي لأهل (ماجنداناو) وقطع عليهم سبل مؤونتهم المادية والبشرية التي كانوا يتلقونها من أهل (ترناتان)،وأعلنت هدنة عند ذلك بين الاسبان وأهل (ماجنداناو) ولكن لم تمض سنتان حتى عاود أهل ماجنداناو وأهل بوايان هجماتهم،وتبع ذلك هجوم أهل سولو على المستعمرات والموانىء الاسبانية وكانت غاية هذه الهجمات إضعاف الوجود الاسباني في الفيليبين والذي إذا ترك بدون تحدٍ يستطيع تدعيم

مركزه وإلغاءه لدرجة خطيرة بالنسبة للمقاطعات المسلمة. وانتهت المرحلة الثالثة عام ١٦٣٥ عندما استطاع الإسبان بدعم ومشورة الجزويت (اليسوعيين) أن يبنوا قلعة قويـــة في (زانبوانغا Zanboanga).

وبذلك تمكنوا من زيادة رقابتهم عـلى أساطيل المسلمين ، وكانت إقامة هذه القلعة إشارة إلى نيّات الإسبان في غزو أراضي المسلمين وتحويلهم إلى المسيحية ، ولقد تفاءل الاسبان عام ١٦٣٧ عندما سجلوا نصراً مشكوكاً به عـلى سلطان (ماجنداناو) وعلى سلطان (سولو) ، ورسم (الجزويت) خطة لتنصير مسلمي (سولو) و(مندناو) إلا أن المبشرين أجبروا على تخفيف نشاطهم بسبب الهجمات العنيفة للثوار المسلمين ، وكان الإسبان يثأرون بإحراق بيوت المسلمين وتدمـير مزارعهم ومحاصيلهم وتخريب كل مراكبهم وقواربهم ، وهجّروا المسلمين من السواحل حسب خطة مدروسة وضعتها الحكومة الإسبانية ، ولم يُظهر المبشرون أية معارضة لهذه السياسة الوحشية . إلا ان تعاقد المسلمين مع الهولنديين – منافسي الإسبان ، وازدياد مقاومة المسلمين للقوات الإسبانية ، أجبرت الاسبان على إقامة هدنة مع أهل (ماجنداناو) عام ١٦٤٥ م ومع أهل (سولو) عام ١٦٤٦ م ، وبسبب الخطر الذي كان يتهدد الفيليبين قرر الاسبان تركيز كل قواتهـــم في (لوزون) وهكذا ترك الإسبان قلعتهم في زانبوانغا عام ١٦٦٣.

وكان السلطان (نصر الدين) أبرز الزعمـــاء المسلمين قدرة

وقوة إبان المرحلة الرابعة في حروب (المورو)، فلقد استطاع توحيد مسلمي الجزر المختلفة تحت زعامته ، وفي الاتفاق الذي عُقد مع الإسبان عام ١٦٤٥ م اعترف هؤلاء للسلطان نصر الدين بزعامته على أغلب المناطق التي تتشكل منها الآن (زانبوانغا وكوتاباتو) ولاناو ودافاو وكاكايان دي أورو وبوكيدنون) ، ولم يحدث قط في أي فترة من احتلال الإسبان للفيليبين ان تمتع زعيم مسلم بمثل هذه السيطرة الواسعة على هذه المناطق ، وبلغ (نصر الدين) أوج سلطته وقدرته عام ١٦٥٦ م عندما استطاع اعلان الجهاد على الإسبان، وفي سبيل غايته لدحر الإسبان اتصل السلطان نصر الدين بحكام (سولو)و (بروناي)و (ماكسَّرْ) و (ترنيت) ودعاهم باسم الاسلام لمساعدتـــه في الدفاع عن الشريعة التي يحاول الإسبان تدميرها وإحلال قوانينهم محلها . ولم يجد الإسبان زعيماً مسلماً أعجبوا بـــه وخافوه وكرهوه وشوهوا سمعته مثل السلطال نصر الدين ، ولكنهم أجبروا في النهاية على الاتفاق معه وكان الإسبان يشكون ان للسلطان نصر الدين قوى سحرية !!! والواقع ان السلطان نصر الدين كان يتمتع بكل مزايا الزعيم المسلم كالتقوى والتسامح والشجاعة والإحاطـــة بالشريعة الاسلامية والفطنة والصبر على المكاره والرحمة والصفح في النصر ، والاخلاص والتجرّد وفوق كل ذلك القدرة على نكران ذاته في سبيل خير المسلمين ، كان (نصر الدين) اميراً تعلم من أخطائه ولم يقترف أبداً خطأً معيّناً اكثر من مرة واحدة ، ولقد انذره مرّة أحد المبشرين اليسوعيين انه

إذا لم يخضع لأوامر الحاكم الاسبان سيعمد الاسباني بمساعدة المسيحيين المحليين الذين بُشّروا حديثاً ، إلى مهاجمة اراضي المسلمين وإحراق مُدنهم وتدمير مزارعهم ، فأجابه السلطان نصر الدين بهدوء انه لا ينوي الدفاع عن المدن كما فعل في السابق وخسر مجموعة من مقاتليه بل سيترك المدن ويعمد إلى تكتيك حرب العصابات وليحرق الاسبان المدن فإن غابات (مندناو) بها خشب كثير لاعادة بناء المستوطنات المسلمة .

وكان تخلي الاسبان عن قلعتهم الحصينة في (زانبوانغا) عام ١٦٦٣ ، وعدم تدخلهم بأمور السلطنات المسلمة في جنوب الفيليبين إيذاناً بفترة من السلام في المنطقة دامت حوالي خمسين سنة . ولقد مكّنت هذه الفترة السلطنات المسلمة من إعادة توطين أهلها بعد حروب قاسية مريرة ، كذلك قويت في هذه الفترة سلطنة (سولو) لدرجة انها حاولت ملء الفراغ في جزيرة (بورنيو) بعد ان ضعفت (بروناي) وخسرت كثيراً من قوتها الاقتصادية ، ومزّقتها الخلافات الداخلية والحروب الأهلية .

وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر أصبحت مقاطعة (صباح) في (بورنيو) تابعة لسلطنة (سولو) بعد ان كانت من محميّات (بروناي) ، وحاول أيضاً أهل (ماجنداناو) زيادة صلاتهم التجارية بالجزر الاندونيسية بنفس الطريقة التي حاولت بهاسلطنة (سولو)تقوية صلاتها التجارية مع (ماكسّرا)

و باتافيا (جاكارتا .. حالياً) ، إلا ان احتكار الهولنديين للتجارة في الجزر الاندونيسية حدّد التبادل التجاري مع أهل الملايو ، وبزوال خطر الاسبان – وقتياً – من الساحل . عاد التنافس المحلي المزمن بين الزعماء المسلمين : خلافات وصراع على الأرض والولاء والنفوذ الاقتصادي .. كل ذلك ادّى لاقتتال بين سلطنة (سولو) وسلطنة (ماجنداناو) عام ١٧٠٢ م حتى ان سلطاني السلطنتين تبارزا فيما بينهما . ولما عاد الإسبان لاحتلال (زانبوانغا) عام ١٧١٨ م عادت الحروب بين الإسبان والمسلمين حيث وحدّ المسلمون صفوفهم ودفنت الخلافات بين سلطنة (سولو) وسلطنة (ماجنداناو) ، وهكذا بدأت المرحلة الخامسة في حروب (المورو) .

وكان هدف اليسوعيين الإسبان دائماً تحويل مسلمي (سولو) و (منداناو) إلى المسيحية ، ولقد طلب اليسوعيون مراراً من ملك اسبانيا إعادة احتلال وتحصين قلعة (زانبوانغا) ليجعلوها قاعدة لنشاطاتهم التبشيرية ولكن الحاكم الاسباني في (مانيلا) لم يكن ميّالاً للقيام بعمل يعكرّ صفو السلام الذي عقد اتفاقه مع السلطنات المسلمة ويظهر الاسبان بمظهر المعتدين ، الا ان رأي ملك اسبانيا غلب في آخر الأمر وأعيد احتلال وتحصين قلعة (زانبوانغا) ، فحاصرها المسلمون ولكنهم لم يستطيعوا احتلالها وأصيبوا بخسائر كبيرة .

ومنذ الأربعينيات من القرن الثامن عشر – ١٧٤٠ م ومـا

بعدها – حاول الإسبان تكتيكا جديداً لممارسة نفوذ سياسي على السلطنات المسلمة ، فلقد عرف الاسبان ان التجارة هي عصب الحياة في السلطنات المسلمة فطلبوا منها السماح للمبشرين العمل في السلطنات مقابل تسهيلات تجارية تمنحها لهم اسبانيا* . ولقد كتب ملك اسبانيا شخصياً رسالة للسلاطين مؤكداً لهم ان قدوم المبشرين ليس له أي انعكاس سياسي أبداً !!! ولقد خُدعَ سلطان سولو (علم الدين) بمعسول الكلام والمديح وغرّه مال الإسبان وحمايتهم فقبلَ المبشرين ... وخسر في النهاية عرشه ! وحل محله أخوه (معز الدين) وحارب الإسبان حرباً شديدة وحفظ استقلال (سولو) ، وكذلك قاوم أهل (ماجنداناو) كل جهود الإسبان لادخال المبشرين لأراضيهم ، وفي الحروب التي تلت كانت خسائر الطرفين مرتفعة جداً ، وكان يساعد أهل (سولو) في حربهم ضد الإسبان مقاتلون من (مَاكَسَّرْ) ومجاهدون أشدّاء من شمال (بورنيو) أقضّوا مضاجع الإسبان.

ولكن السلطان (معز الدين) كان مخلصاً في رغبته في السلام لأنه كان ذا ذهنية تجارية وكان يعرف تماماً ان أهل (سولو) يحتاجون للتجارة في سبيل معيشتهم ، ومع مرور الزمن خفّف الاسبان اعتداءاتهم وتحسنّت النشاطات التجارية قليلاً وبقي الأمر هكذا حتى اواسط القرن التاسع عشر ؛ إلا ان عاملاً آخر

* نموذج آخر لوحدة (التبشير والاستعمار) في المنطلق والاساليب والغايات (المترجم)

طرأ على الموضوع ممّا كان له نتائج خطيرة على مستقبل السلطنات وكان ذلك تخطيط الاستعمارين الانكليزي والهولندي لاحتلال المناطق الاسلامية في الفيليبين و(بورنيو) ؛ ففي أواخر الجزء الثاني من القرن الثامن عشر كان الانكليز يفتشون عن مكان لإقامة معمل في بورنيو كجزء من خطتهم الرامية إلى توسيع تجارتهم مع الصين ، وكان يهمّهم أيضاً ان يكون لهم صلات اقتصادية متزايدة مباشرةً مع (بورنيو) (وسولو) و(منداناو) ؛وفي نفس الوقت كان الهولنديون يزيدون من نفوذهم في جزيرة (بورنيو) وبخاصة في أجزائها الواقعة تحت حماية سلطنة سولو، كل ذلك أغضب الإسبان الذين كانوا يحاولون حماية الحدود الجنوبية لمستعمراتهم في الفيليبين ، وخوفاً من أن يؤدي تزايد الصلات الاقتصادية بين الانكليز والسلطنات المسلمة الى حصول الانكليز على موطىء قدم لهم في (سولو) ، قرّر الاسبان وضع سلطنة (سولو) كلّياً تحت سيطرتهم لمنع الانكليز من الوصول إليها أولاً ؛ وهكذا كانت الحملة الإسبانية عام ١٨٥١ م على (سولو) وبهذه الحملة بدأت المرحلة السادسة من حروب (المورو) . وكان التبرير الرسمي الاسباني لهذه الحملة هو ان رعايا سلطان سولو هم من القراصنة !!! الذين كانوا يهددون دائماً النقل البحري الإسباني ؛ ولقد حاول سلطان سولو عبثاً أن يفسّر للاسبان انه هو نفسه يعاني من عمليات القرصنة وانه لا علاقة لرعاياه بها وهو لا يوافق عليها ويشجبها ويلاقي صعوبة في اخضاع القراصنة . وبعد احتلال اسباني قصير (لجولو)

عام ١٨٥١ م عُقدت معاهـــدة صداقة بين الإسبان وأهل (سولو) ، ولقد قدّر أهــل (سولو) ان هذه المعاهــدة هي اتفاق بين ندّين متكافئين بينما حاول الإسبان اقناع أنفسهم والاوروبيين الآخرين بــأن (سولو) أصبحت محمّية اسبانية ، واعاد الاسبان نفس « الاسطوانة » عن القراصنة لتبرير حملتهم الجديدة عام ١٨٧٦ ، وأخيراً أُجبر السلطان على توقيع معاهدة صلح محتفظاً لنفسه بكثير من مظاهر السيادة ، وطيلة فــترة احتلال الاسبان (لجولو) كانت معسكراتهم معرضة دائمـــاً لهجمات المسلمين ، والواقع ان هدف الاسبان من غزو (سولو) كان لمنع أهل (سولو) والانـكليز من الوقوف في جبهة واحدة، ولم يكن « القراصنه » الهــدف الأصلي الحقيقي ، فكل اهل المنطقة كانوا راغبين في ترك سوق التجارة حرّة من كل عائق أو قيد ، وهذا لا ينفي وجود بعض القرصنة في المنطقة وكانت هـــذه القرصنة موجودة قبل قيام الساطنات المسلمة ، وكان السلاطين دائماً ضد القراصنة كذلك كانوا يعاقبون من يقبضون عليهم من هؤلاء ، ولكن الإسبان كانوا يعتبرون كل هجوم على معداتهم من قبل المسلمين « قرصنة » سواء كانت هذه المناوشات دفاعية أو هجومية .

وفي هذه المرحلة السادسة من حروب (المورو) بدأسلاطين (ماجنداناو) مرغمين بالقوّة أو بالإغراء الاسباني على التخلي عن جزء من ممتلكاتهم للحكومة الاسبانية . وإذا كان هناك

مجال للبحث في مرحلة سابعة لحروب (المورو) فيجب ان تكون في الفترة الـــتي حاول فيها الأميركان فرض ولائهم على المسلمين ، فعن طريق معاهدات صداقة استطاع الأميركان ان يكسبوا ثقة حكام المسلمين وعن طريق تفوقهم الحربي وبخاصة المدفعية استطاعوا هزيمة بعض المجموعـات المسلمة الصغيرة المنعزلة التي حاولت صيانة حرّيتها من أي أجنبي غاصب . وعند وصول الأميركان كانت السلطنات المسلمة قدضعفت إلى حدّ كبير بسبب الحملات الاسبانية المتكررة عليها ، وفي عام ١٨٩٨ م عندما نقل احـــد الضباط الأميركان إلى سلطان (سولو) خبر ثورة الفيليبين على إسبانيا وإقامـــة حكومة ثوريّـــة في (لوزون – Luzon) عقّب السلطان على ذلك بسخرية قائلاً : إن الفيليبين يقومون عام ١٨٩٨ بما قام بـه المسلمون – ولا زالوا – منذ ثلاثمئة عام – أي مقاتلة الإسبان للحفاظ على حرّيتهم واستقلالهم ولقد فشلت محاولة الحكومـة الثورية الفيليبينية في كسب دعم المسلمين في الجنـوب لتشكيل جبهة واحدة امام الاميركان لأن المسلمين كانوا لا يثقون بالفيليبين المسيحيين وخافوا من ان يعاملهم هؤلاء مثلما كان الإسبان يعاملونهم ولقد نشأ هذا التخوف على فترة ثلاثـــة قرون كان الإسبان يستعملون فيها الفيليبينيين المبَشرَين – بفتح الشين – لمحاربـة المسلمين ؛ وبأوامر وتوجيه وتشجيع الإسبان عمد المتطوعون الفيليبينيّون المسيحيون إلى حرق مزارع ومراكب المسلمين ونهب

ممتلكاتهم ، ولقد لقّن الإسبان الفيليبينيين كراهية المسلمين وكانوا يخرجون الروايات والمسرحيات التي تحضّ على قتال المسلمين وتبرّر حروب (المورو) ، فليس عجباً إذاً ان يمقت ويكره المسلمون اولئك الذين استسلموا بسهولة للاستعمار الاسباني واصبحوا عملاءه وأدوات أمبرياليته . ولولا وجود وحماية الجيوش الاميركية في (زانبوانغا) للفيليبينيين لتمكن (الداتو مَنْدي) من إبادة جميع الفيليبنيين فيها ، ففي مدينة (كوتاباتو) استطاع الداتو* (بيانغ) من الاجهاز على من فيها من غير المسلمين في خلال ساعات. والاميركان هم الذين اعادوا إلى (كوتاباتو**) السكان المسيحيين ، وبموجب الاتفاقية الأميركية و فُتحت أراضي المسلمين للوافدين المسيحيين للاستيطان فيها ومُنعَ المسلمون من خارج كوتاباتو من دخولها والاستيطان فيها، أضف إلى ذلك ان اميركا تعمّدت عزل المسلمين الفيليبينيين عن إخوانهم في أندونيسيا والملايو وهذا ما لم تستطع اسبانيا القيام به رغم محاولاتها الجاهدة خلال قرون طويلة من الاستعمار والغزوات ، وبدأ المبشرون (البروتستانت) يفدون ... وكان لأميركا في الواقع نفس الاهداف التي كانت للاسبان بالنسبة للمسلمين أي محاولة (تنصيرهم) ... جميعاً .

---

* الداتو بلغة الملايو يعني الحاكم أو الامير .

** كوتاباتو هي مسرح المذابح الدامية القائمة الآن ضد المسلمين ـ المترجم.

الفصل الثالث

نتائج حروب "المورو"

تركت حروب (المورو) ندوباً عميقة في نفوس المسلمين لا تزال آثارها ملموسة محسوسة حتى الآن . وقبل ان نبحث هذه الندوب من الهامّ ان نذكر ، ولو باختصار ، طبيعة التراث الإسلامي لمسلمي الفيليبين ، فان هذا التراث وبخاصة الدفاع عنه هو الذي يجعل من الصعب على المسلمين تناسي جراحاتهم وندوبهم ، بل إن هذا التراث نفسه هو الذي مكن المسلمين من تحمل هذه الجروح والندوب بعزّة وكرامة وهو الذي يجعلهم راغبين في تحمل متاعب والام الحاضر ... والمستقبل !

أولاً : ادخل الإسلام عقيدة إلهيّة جديدة على حياة الفرد والعالم أجمع والتمسك في هذه العقيدة بوحدانية الإله الخـالق كنس كل العبادات والمعبودات القديمة من أصنام و (ارواح) شرّيرة !!

ثانياً : إن مفهوم الإسلام لفكرة الإله الخالق الواحد الأحد المهيمن الصمد عدلت من ميول الحكام المحليين نحو الحكم المتسلط

والديكتاتورية الظالمة وظهرت مؤسسات سياسية جديدة تشكلت على هياكل مؤسسات بسيطة قائمة وصارت، مع الزمن، أقوى وأمتن، ولقد قامت فكرة المساواة بين البشر جميعاً حاكمين ومحكومين فهم سواسيه أمام الله، لا فضل لأحد على احد إلا بالتقوى، وكل الناس – بما فيهم السلاطين والولاة – يخضعون لحكم الشريعة الإسلامية، وخفت شرور الاسترقاق، وأصبحت معاملة الأجراء في المأكل والملبس والمسكن كمعاملة أفراد الاسرة الآخرين، وشجع تحرير الرقيق بجعله جزءاً من التقوى والتقرّب إلى الله.

ثالثاً: جاء الإسلام بنظام جديد للكتابة وتحسين الخط، وفتحت المدارس للمرّة الأولى في أرخبيل الفيليبين، وظهر بين أهل البلاد علماء لتذكير المؤمنين بواجباتهم، وتحذير الحكام من الافراط أو التفريط في مصلحة الأمة ودعوا إلى التمسك بقيم الإسلام في الشجاعة والنظافة والرحمة والعمل المثمر والتعامل بالحُسنى، وأوضحوا واجبات المسلم تجاه ربه وتجاه أهله وجيرانه والناس جميعاً في إطار مفهوم اخلاقي أساسي واحد، واستطاع مسلمو الفيليبين زيادة اتصالاتهم باخوانهم مسلمي الغرب (غربي آسيا)، وأصبحوا جزءاً من مجتمع كبير هو دار الاسلام، وشعروا أنهم ورثة تاريخ طويل من الأمجاد والشدائد التي عاشها اخوانهم المسلمون الآخرون في انحاء دار الاسلام، وأحسوا ان لهم نفس التراث وصاروا جزءاً من خير امة اخرجت للناس ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر ويؤمنون بالله ، كل ذلك جعل مسلمي الفيليبين يمتلكون نظرة اخلاقية محددة واتجاهـــا واضحاً في حياتهم ونشاطاتهم مؤمنين ان لهم ربّاً يراقب اعمالهم وموقنين ان التاريخ يسير حسب النص القرآني الذى يقول :

« إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم »

كل ما ذكرناه كان في صالح مسلمي الفيليبين ومن الإنصاف أن نذكر الأشياء التي لم تكن في صالحهم :

أولاً : لم يدخل الاسلام قـلوب هؤلاء بنفس الدرجة من العمق والايمان لذا كان الوعي الاسلامي متفاوتاً بين أفراد المجتمع الواحد . وهكذا رغم دعوة الاسلام إلى المساواة التامة بين جميع المؤمنين استغل بعض الحكام رعاياهم وطالبوهم باكثر ممـا يجب من الطاعة والولاء ، كذلك لم ينته الاستغلال تمامـــاً في ميدان التجارة والزراعة والأوجة الاقتصادية الأخرى ، ورغم تضاؤل مشكلة الرقيق لم تستأصل كلياً في حينه .

ومع ان كثيراً من الحكام شجعوا العلم والثقافة لم يكن التعليم متاحاً لكل الناس وقعد بعض الحكام عن السعي لتحسين وتنمية علمهم وثقافتهم واستغلّ قسم منهم – مع بعض الحجاج – المسلمين البسطاء في أعمال تخالف الإسلام .

وبقيت بعض عادات التطيّر التي كانت موجودة قبل الاسلام بسبب عدم التوسع في التربية الدينية لأن بعض المستغلين آثروا عدم توعية جماهير المسلمين في سبيل مصالحهم الخاصة . كما ان

بعض « العلماء » لم ينموّا علومهم مع ان الاسلام يدعوهم لذلك ، وبعض طلاب الفقه والشريعة استعملوا « علمهم » في سبيل تبرير أعمال الرؤساء والحكام ، والبعض الآخر منهم لم يهبهم الله الشجاعة في الحق فما تجاسروا على قولة الحق امام الحاكم الجائر عند مخالفة هذا الأخير لتعاليم الاسلام .

وكشفت الدراسة العميقة لبعض هؤلاء الحكام انهم كانوا مصابين بعيبين : الطمع والضعف أمام الإطراء الكاذب ، وعرف الاسبان هاتين النقيصتين في الحكام واستغلوهما أيما استغلال؛فعن طريق المدح الكاذب وتوزيع الألقاب الأسبانية والكلام عن عظمة السلاطين وكيف يستطيعون تحسين !! أوضاعهم إذا أصبحوا مسيحيين !! وعن هذا الطريق حاول الاسبان جرّ السلاطين إلى قبول الحضارة الغربية ، والدين المسيحي . وعن طريق عرض تنازلات تجارية وتقديم هدايا ثمينة استطاع الأسبان ان يحصلوا بالتدريج على بعض اراضي المسلمين وعلى الإذن بدخول المبشرين الكاثوليك . وفي الوقت الذي كان الإسبان يوزعون صفات التسامح والرحمة عند الحكام المسلمين كان الإسبان يضحكون وراء ظهر هؤلاء الحكام ويزداد — تدريجياً — النفوذ الاسباني في أراضي المسلمين مما أدى في النهاية إلى ضياع هذه الأراضي كما حدث في (تامونتاكا) و (كوتاباتو) ومستوطنات اسلامية أخرى في (سيبوغي) وشمال (زانبوانغا) في القرن الماضي . وكانت المطامع الشخصية والمشاعر الاقليمية كلّها سبباً في عدم تمكن بعض الحكام من تحرير أنفسهم من ربقة هذه

المصالح الخاصة وأدّى ذلك إلى التناحر الدائم فيما بينهم .

واستطاع الإسبان عن طريق الإغراء والإطناب والرشوة لبعض صغار النفوس من الحكام ، من تفريق شمل المسلمين ، فلم يقفوا ، في بعض الحالات ، وقفة مركزّة واحدة في مقاومة ومواجهة الإسبان ؛ وكان صراع بعض ضعاف الايمان من الحكام فيما بينهم مادة تسلية وتفكّه لدى الاسبان ، وما حفظ ، الاسلامَ في الفيليبين حتى يومنا هذا ، رغم الصراع الداخلي للحكام ورغم الضغوط الاسبانية الشديدة ... إلا رحمةُ الله .

وما ذكرناه من عيوب لا ينفي ان الزعماء المسلمين أظهروا براعة في الوقوف صفاً واحداً في مناسبات عدّة كان الخطر يتهددهم فيها جميعاً . إلا أن مواقف الوحدة والتضامن كانت سرعان ما تخف عند بوادر زوال الخطر .

الفصل الرابع

حروب المورو وشخصية مسلمي الفيليبين

وشخصية مسلمي الفيليبين اليوم متأثرة إلى حد كبير بما سمي حروب (المورو) ، وعلى هـذا الأساس يمكن فهم كثير من مشاكلهم القائمة ولنعد قليلاً إلى الوراء لتفصيل ذلك .

أدّى وصول الإسبان للفيليبين والهولنديين لاندونيسيا خلال القرن السابع عشر ، إلى عزل الشعوب المسلمة في ماليزيا تدريجيّاً عن بعضها البعض نتيجـة تخريب الصلات التجاريـة فيما بينها ؛ وخلال حروب المورو تعمد الإسبان عزل مسلمي الفيليبين وهذا ما حـدا بهؤلاء الأخيرين إلى الاعتماد تدريجيّاً على أنفسهم وعلى مصادرهم فقط إلا أن هذا العزل أدى إلى قطع الروابط الفكرية والاتصالات الدينية مع جيرانهم المسلمين ، وهذا أيضاً هو مـا فعله الهولنديون في اندونيسيا وتبعهم بعد ذلك الانكليز في الملايو ،

فقد جهدوا لاضعاف الصلة بين مسلمي الملايو ومسلمي اندونيسيا من جهة وبين هؤلاء جميعاً واخوانهم مسلمي غربي آسيا وشمال افريقيا من جهة أخرى ؛ وهكذا شملت العزلة مسلمي الفيليبين واندونيسيا والملايو .

وأدت حروب المورو ، التي بدأها الاسبان وهدفها استعمار وتنصير المسلمين، إلى تعميق الوعي الإسلامي بين المسلمين إلى درجة ان الإسلام أصبح هوية وعقيدة واساساً للشعور القومي، وامتزج بالشعور الوطني والدفاع عن الأرض والمؤسسات التي ربما كان بعضها قدأقيم قبل وصول الإسلام، وهكذا اختلطت على البعض عاداتهم الجاهلية وتقاليدهم الإسلامية .

وكان للاسبان يد في تمسك المسلمين بالاسلام واعتباره هويتهم الوحيدة وذلك عندما (نَصّرَ) الاسبان الفيليبيين الآخرين وأقنعوهم انهم مختلفون تماماً عن مسلمي الفيليبين الذي كان يهيل الاسبان عليهم أبشع النعوت وأقبح الصفات ويعتبرونهم «الاعداء» وهذه الطريقة في السلوك الاسباني جعلت مسلمي الفيليبين يزيدون تمسكهم بالاسلام و يَرونَ أنفسهم مختلفين عن الفيليبينيين المبشرين – بفتح الشين – الذين يسيطر عليهم المستعمر الاسباني الغازي .

وهكذا قسم شعب الفيليبين إلى جزئين متميزّين قسم (الانديو) أي المبشرين – بفتح الشين – الذين أدخلهم الاسبان في المسيحية ، وقسم (المورو) وهم مسلمو الفيليبين وقام بين الاثنين جفاء وعداء وعدم ثقة وسبب ذلك ان الاسبان استعملوا

المبشرين – بفتح الشين – الفيليبينيين في محاربة المسلمين الفيليبيين وظهر الأمر واضحاً في المرحلة الثالثة لحروب (المورو) اذ دفع الاسبان هؤلاء (المنصّرين) ليحاربوا عنهم مسلمي الفيليبينيين ، وكان الاسبان يستعملون هـــؤلاء في الخطوط الامامية وفي التجسس ، والقوات البحرية ، وفي المرحلة السادسة من حروب (المورو) دعا هؤلاء (المنصّرون) لاكتتاب شعبي في سبيل دعم الحرب ضد المسلمين ، وكانت الكنائس والصحف تبشر وتدّعي ان مقاتلة المسلمين هي حرب مقدسة ضد القراصنة حتى ان تلاميذ المدارس والتجار الصينيين في مانيلا كانوا يتبرعون « للمسيحية » بالمساعدات النقدية أو العينيّة لإظهار ولائهـــم لحكومة مانيــلا" ولحماية أنفسهم من اضطهاد الدولة ؛ وكانت الاحتفالات الدينية والشعبية تقام لجمع المساعدات ، ونتيجة لذلك كره المسلمون الفيليبينيون هؤلاء الذين لم يفرّطوا فقط بحريتهم وقبلوا الاستعباد والاستعمار ... بل حاولوا جهدهم سلب المسلمين حريّتهم خدمة للاجنبي المستعمر ، وأصبحت كلمة (فيزايات) وتعني المرتزقة الذين كانوا يحاربون مع الاسبان – مرادفة لكلمة « عبيد » وأصبحت كلمة « فيليبيني » و« مسيحي » مترادفتين أيضاً ؛ وقيم المسلمون أنفسهم أنهم متميّزون عن « العبيد » وعن الفيليبينيين الآخرين .

ونفس التكتيك الاسباني في تفريق سكان ارخبيل الفيليبين للإبقاء على سيطرتهم الامبريالية ، طُبّق أيضاً على المسلمين أنفسهم فلقـــد استطاع الاسبان في مناسبات عـدّة إذكاء نار المنافسة

والخصام بين السلاطين وحاولوا إفساد البعض الآخر بالمال والهدايا والوعود الكاذبة والمدح الرخيص ، وخدع الإسبان بعض الحكام بتحوير المعاني الإسلاميـــة في النصوص القرآنية وظن هؤلاء المخدوعون أن تسامحهم واتفاقهم مع الاسبان يعكس الخلق الاسلامي بينما كانوا بالفعل يعملون على تهديم وحدة المسلمين وتهديد دار الاسلام .

ومن النتائج الماحقـة لحروب المورو كان التخريب المنظـم لمزارع المسلمين وبساتينهم لنشر المجاعة بينهم ولإجبـارهم على الهجرة عن أراضيهم وعقاراتهم ؛ وسياسة تحطيم اسطول المسلمين البحري لم تكن فقط لإضعافهم عسكرياً بل لتقطيع شرايـين حياتهم بقطع خطوط مواصلاتهم التجارية وإجبارهم على الرضوخ للاسبان والاعتماد عليهم في استيراد الأرز وهو مادة أساسية في طعامهم ، ولمّا لم يستطع الاسبان التحطيم الكامـــل لتجارة المسلمين طلبوا منهم الا يتعاملوا تجارياً إلا مع الجزر الواقعة تحت السيطرة الاسبانية .

وهكذا فعل الهولنديون والانكليز من بعـــدهم ، وكانت سياسة تهجير المسلمين من أراضيهم – كما حدث في الجزء الأخير من المرحلتين الرابعة والسادسة لحروب المورو في جزيرة جولو وبعض جزر (بالنجنجي) – أسوأ من محاولات تحطيم الحياة الاقتصادية للمسلمين ، ولا تزال سياسة التهجير هذه باقية حتى الآن في داخل جزيرة جولو ومجموعـــة جزر (بالنجنجي) ، كذلك رحّل

الاسبان كل سكان (سامال) إلى جزيرة (لوزون) ، واحفاد هؤلاء (المنصرّين بالقوّة)لا يزالون يذكرون اجدادهم المسلمين، كل هذه العوامل تفسّر - جزئياً - أسباب التخلف الاقتصادي في المناطق المسلمة في الفيليبينيين ، في الوقت الذي كان عدد السكان يتضاعف باطراد في المناطق التي وقعت بأيدي الإسبان .

ولم يحاول الحكم الأميركي بعدذلك تحسين الأوضاع الاقتصادية للمسلمين.. ربما كان ذلك لانشغال الأميركان بتهدئة المسلمين الثائرين أو ربما كان ذلك بسبب عدم ثقة المسلمين بالأميركان الذين كان ينظر إليهم كخلفاء للاسبان في الحكم الاستعماري. ومن المحتمل ان يكون سبب فشل الاميركان في القيام باصلاحات اقتصادية جذرية في أراضي المسلمين هو نفس السبب الذي ادّى لفشلهم في ذلك في الاجزاء الاخرى من الفليبين ، ومع ذلك اهتم الأميركان مع بعض اصدقائهم من الساسة والرأسماليين الفيليبين في استصلاح أراضي جديدة لهم ولأصدقائهم في جنوب الفيليبينيين ، وكانت هذه سياسة قصد بها اسكان عدد كبير من المسيحيين في مندناو حتى يصبح المسلمون اقلية لا قيمة لها ، وآثار هذه السياسة ظاهرة للعيان الآن ..!

وإذا انشغل شعب من الشعوب بالحروب الدائمة لا يستطيع طبعاً الالتفات إلى تحسين وضعه التربوي والثقافي وإيلاء هذا الميدان الأولوية التي يستحقها في أوقات السلم .

وفي بداية هذا القرن كان العدد القليل من المثقفين المسلمين هو نتاج المدارس المسلمة التي لم تزد في تعليمها عن المستوى المتوسط في القراءة والكتابة وبعض المعلومات الفقهية ، وتحت ظل الحكم الاميركي فتح مجال لِكَسْب أساس أمتن من العلوم الأساسية حيث أن الأميركان لم يعلنوا في الظاهر !! رغبتهم في (تنصير) المسلمين ،ولكن عدد المسلمين الذين استغلوا هذه الفرصة المتاحة كان قليلاً بالنسبة لمجموع سكان الفيليبين ، وكان ميل المتعلمين المسلمين نحو دراسة الحقوق كطريق للوصول للسلطة السياسية لطموح شخصي ومصالح عائلية ولم يكن ، بالضرورة ، لتحسين وحماية جماهير المسلمين .

ومن الواضح أن جزءاً كبيراً ممّا يسمى (مشكلة المورو) ناتج عن حروب (المورو) ، فالمسلمون الفيليبينيون كانوا نسبيّاً احراراً مستقلين طيلة قرون عديدة ولم يعتادوا أن يُحكموا من قبل (غير المسلمين) ، فدينهُم وثقافتهم وقيمهم ومؤسساتهم الاجتماعية مختلفة عن بقية سكان أرخبيل الفيليبين ،أضف إلى ذلك أنهم كانوا يعتبرون الحكم الاسباني والحكم الأميركي حكماً أجنبياً .. إنْ لم نَقُلْ عَدُوّاً لدينهم وثقافتهم ومؤسساتهم الاجتماعية ، وهذا الموقف يفسّر إلى حد كبير لماذا لا يزال أغلبية مسلمي الفيلبين يعتبرون حكومة الفيلبين حكومة أجنبية ، فإهمال الحكومة لأوضاعهم الاقتصادية ولتحسين مستواهم التعليمي ، والشك المزمن وعدم الثقة بهذه الحكومة ... ولوم الحكومة لهم واتهامهم وتحميلهم مسؤولية كل سرقة أو لصوصية أو

شقاوة . . .والوجود الدائم لكثير من قوات الأمن ! ! التي تزعجهم كل ذلك يزيد في قناعة المسلمين ان حكومة الفيلبين الحاضرة هي مجرد وريثة وخليفة أجنبية للحكم الاسباني والحكم الأميركي ؛ والذي يرسّخ هذه القناعة عند المسلمين هو الشك في أن الحكومة الحاضرة لا تزال تشجع استيطان سكان جزيرة (لوزون) و(فيزاياس) المسيحيين في المقاطعات والمناطق المسلمة ، والحقيقة ان هؤلاء يحصلون على هبات من الحكومة لمساعدتهم في استثمار الأراضي التي يملكها المسلمون منذ أجيال عديدة وتسجّلها الحكومة بسهولة على أسماء هؤلاء المختلسين بينما تحرم غالبية الجماهير المسلمة التي عاشت على هذه الأراضي وامتلكتها قروناً طويلة ، من ان تمتلك هذه الأراضي وتسجلها كذلك كلما قام مشروع اقتصادي صناعي هناك يحرم في الغالب على المسلمين العمل فيه ، وهذا ما يزيد أيضاً من شكوك وريب المسلمين ، كذلك المداولات والاجتماعات الدائمة بين المسؤولين الحكوميين والمبشرين المسيحيين يزيد من خوف المسلمين من الحكومة التي يعتقدون أنها تسُر تماماً إذا ما تحوّل جميع المسلمين عن دينهم وأصبحوا مسيحيين .

قد تكون بعض هذه الشكوك مبالغاً فيها . . . ولكن هذه العوامل لا تزال هي التي تؤثر في توجيه أعمال المسلمين وتفسّر سلوكهم .

هناك عامل آخر يحد من الحوار بين مسلمي الفيليبين وغيرهم

من الفيليبينيين – بما فيهم المربّين ومن يدّعون الثقافة !! – وهو أن غالبية هؤلاء « المثقفين » الفيليبينيين يعتقدون ان المسلمين لن يكونوا (مواطنين صالحين) ما لم يصبحوا « مسيحيين » ! مثل غالبية أهل الفيليبينيين ، وينسى هؤلاء « المثقفون » ان الغالبية العظمى من الفيليبيين الكاثوليك قد فقدوا – في الواقع – كل إيمان مسيحي، وربما أصبح عدد كبير من هؤلاء « المثقفين » علمانيا ، وهم يطلبون من المسلمين – ببساطة – ان يتخلوا عن عقيدتهم وإيمانهم ،وينسى هؤلاء « المثقفون » أيضاً ان تخلي المسلم عن إيمانه يفقده العناصر الروحية في شخصيّته والفضائل الأخلاقية في معاملاته المدنية .

الفصل الخامس

الأعداء ... في الخارج

من السهل على المسلمين أن يُعزوا كل الآفات التي تفتك بهم إلى الحكومات الاستعمارية المتعاقبة في الماضي وحكومة الفيلبين الحالية ، ولا يُنكر ان هذا حق .. إلى حد كبير ،ولكن يجب أن لا ننسى أن بعض المسؤولية عن هـذا الواقع المؤلم تقع على عاتق المسلمين أنفسهم وعلى عاتق زعمائهم .

ولكن قبل أن نكشف بتفصيل الأعداء في الداخل من المهم جداً أن نحاول كشف الأعداء في الخارج ، والقائمة التالية هي على سبيل المثال لا الحصر فضلاً عن أنها لا ترتب الأعداء حسب درجة خطورتهم وأهميتهم :

١ً — المبشّرون هم من بين الأعداء الكُثر للاسلام في الفيلبين فهم يسعون جاهدين لتحويل المسلمين عن دينهم وإدخالهم إمّا

في الكاثوليكية أو البروتستانتية . ومن الوجهة التاريخية كان التبشير الكاثوليكي يعتمد بالدرجة الأولى على حركة اليسوعيين الإسبان ، أما الآن فلقد حلّ محلهم غيرهم ... في هـذا المجال ، وأهم ما يعتمدون عليه من وسائل هي مؤسساتهم التعليميّة في المناطق المسلمة ، ويغرون الفقراء المعدمين بالمساعدة والمال إذا هُمْ دخلوا في الكاثوليكية ، وهذا يعني تحوّلُ حياة هؤلاء – ماديّاً – من الفقر المدقع إلى وضع اقتصادي ومعاشي مريح ، ويعمد البعض الآخر من المبشرين إلى تشويه سمعة وشخصية الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، بالتلْفيقات المعروفة والتُهَم الباطلة ، أو يُعْزون تخلّف المسلمين الاقتصادي إلى الإسلام . والبعض الآخر من المبشرين يحاول استغلال الآيات القرآنية الكريمة التي تكرم سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، بين المسلمين فقط ، محاولين ابعاد المسلمين عن السيرة النبوية المطهرة . كذلك تستخدم البعثات التعليمية والمدح الكاذب والدعوات لحضور المؤتمرات والدراسات لاستمالة المسلمين إلى المسيحية . والشيء الهام الذي ينساه « البعض » هو ان هؤلاء المبشرين قادمون من مجتمعات فقد معظم أهلها إيمانهم ومن واجب هؤلاء المبشرين ان يعملوا في بلادهم نفسها لمنع انحراف أبنائهم وإخوانهم إلى الإلحاد ، ويحاولوا إعادة الإيمان إلى قلوب ونفوس من فقدوه هناك .

ويستغل هؤلاء المبشرون سماحة المسلمين واحترامهم لأي رجل دين من الاديان السماوية الأخرى ، وكان هدف المبشرين

البروتستانت في الربع الثاني من هذا القرن تحويل المسلمين الفيليبينيين في (مندناو) إلى مسيحيين ليعمل هؤلاء المبشَّرون (بفتح الشين) بدورهم في حقل التبشير المسيحي في المجتمعات المسلمة في أندونيسيا والهند !! ولا أدري ما هو رأي مسلمي (مندناو) اليوم .. في هذه المشاريع الخيالية الكبيرة !! التي خططها لهم المبشرون .. ؟

ويعمد بعض المبشرين للتنصل من صفات المبشرين المسيحيين السابقين ويدّعون انهم يختلفون عنهم ، وانه ليس من غايتهم تحويل المسلمين عن دينهم بل هم يريدون فقط « مساعدة » !! – كذا – الناس الآخرين وخدمتهم كشهود للمسيح – !! ما معنى ذلك ؟؟ – ، والواقع ان هؤلاء يحدثون بلبلة واضطراباً في نفوس المسلمين السطحيين البسطاء الذين لم يتعمقوا في فهم الاسلام ويبدأ هؤلاء البسطاء بالشك في معتقداتهم دون أن يصبحوا مسيحيين . ونتساءل بتعجب : هل هذه هي غاية المبشرين ؟ وهل يكتفون بهذه النتائج ؟؟ إذا كان الأمر كذلك فهذه (المكاسب) ! التبشيرية !! تشكل أبشع أنواع الانحطاط الخُلُقي .

وفي مجال الحديث عن المؤسسات التعليمة التبشيرية في المناطق المسلمة يكفينا ان نتذكر تحذير الله لنا في كتابه الكريم :

« ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم

كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق » .

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير »[1] صدق الله العظيم .

« ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون »[2] صدق الله العظيم .

ويجب أن نُفهِمَ المبشرين بكل صراحـــة وصدق أننا – كمسلمين – نشهد بوحدانية الله وبنبوّة محمد ﷺ كما يشهدون هم بالمسيح ، ومــــا على المبشرين إلا ان يُنصتوا ويعوا الأذان ، كذلك علينا ان نبلغ المبشرين وهؤلاء ان القرآن الكريم ذكر في مواضع عدة السيد المسيح عليه السلام كنبي مرسل، والمسلمون يؤمنون بذلك ويحترمون السيد المسيح بن مريم وهو ، كغيره من الأنبياء ، عبد من عباد الله اختاره الله إلى جواره ولم يصلبه اليهود ،والتأكيد على ذلك يعني ان الاسلام لا يقبل القول بصلب السيد المسيح وموته على الصليب ثم قيامه بعد ذلك ، والقول بأنه هو الله يعتبره المسلمون تجديفاً عظيماً . فالقرآن الكريم يقول في سورة النساء :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة آل عمران .

الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خير لكم انما الله إله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا .»

يجب على المبشرين ان يعلموا ان كثيراً من المعتقدات عن السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليست إلا إضافات متأخرة زيدت على المسيحية ، وجاء محمد بن عبدالله - ﷺ - ليؤكد دعوة الإله الواحد التي انزلت على أنبياء الله من قبله وليظهر كيف ان اليهود تلاعبوا بكتبهم الدينية وليعدّل من مبالغة المسيحيين بتأويلات الأناجيل ، لذا كانت بعثته بشيراً ونذيراً للناس كافة ... « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » كذلك على المسلمين ان يذكروا أنفسهم دائماً انه ليس هناك من وسطاء بين العبد وربه وهذا ما لا يريد المبشرون سماعه لأنه يلغى كلياً « مهنتهم » .. التي يمتهنون .

ومما ذكرت سابقاً نرى ان المبشرين يكرهون ستة أمورٍ في المسلمين :

١ – رفض الإسلام لفكرة (التجسد)-(Jnearmation)
٢ – ورفضهم لفكرة التثليث .
٣ – ورفضهم لقصة الصلب .
٤ – ورفضهم بالتالي لموضوع القيام ... بعد الصلب .
٥ – ورفضهم لفكرة وجود (وسطاء) بين العبد وربّه .

٦ – واعتقادهم ان المسيحية قد خالطها بعد غياب السيد المسيح – عليه السلام – بعض ما ليس فيها أصلا .

والحق ان هناك فوارق كثيرة بين الإسلام والمسيحية التي يبشر بها المبشرون اليوم ، ولكننا لسنا في مجال هذا البحث لذا نكتفي بما ذكرناه في النقاط الست .

ومع كل ذلك فالقرآن الكريم لا يغلق باب الحوار مع المسيحيين بل يسمح به ، وهذا يعني ان الراغبين بالخوض في هذا النقاش ان يكونوا متعمقين في فهم القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية وأسس الفقه الإسلامي ، وعلينا ان نحمي أولاد المسلمين من المبشرين إلى ان يتعلموا أركان الاسلام ويتقنوا الصلاة .

وفي هذا المجال على الأهل ان يكونوا قدوة لأولادهم في التمسك بالإيمان والتقوى إذ ليس من المعقول ان ننتظر من الاولاد التمسك بقوة الاسلام إذا كان اباؤهم وأمهاتهم لا يقدمون لهم المثل الصالح .

أمر آخر يجب الانتباه له والحذر منه هو ألا يؤتي المسلمون من جهة حسن نواياهم وايمانهم بنبوة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحترامهم له إذ أن المسيحيين لا يبادلونهم نفس الإيمان والاحترام للرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ . وينسى المبشرون ... أو يحلو لهم أن يتجاهلوا ان احترام المسلمين لسائر الأنبياء والمرسلين هو المثل الحق للشمول في روح الإسلام

منذ ظهوره وهذا ما تحاول إبرازه حديثاً – بعد آلاف السنين– بعض الديانات الأخرى ، ونأمل أن يقدّر المسلمون وغير المسلمين هذه الحقيقة الهامة .

٢ – أما الفئة الثانية من أعداء الاسلام في الفيليبين فهي جماعة من ذوي المناصب العالية في الدولة ومؤسساتها التعليمية ، إذ يعتقدون أن المسلم لن يصبح مواطناً (صالحاً) ! وينخرط في الجسم السياسي للبلاد إلا إذا تحوّل مسيحياً... أو على الأقل. . إلا إذا ترك الاسلام ، وهؤلاء يقفون في صف المبشرين ولو أنهم ليسوا بالضرورة متدينين فأكثرهم فقدوا إيمانهم ومع ذلك لا يزال يغشى أعينهم التعصب الثقافي والتحامل المتحيز فلا يستطيعون تصوّر تعدّد العناصر المجتمعية وتنوع الثقافات والتقاليد ، ولا يقدرون على فهم ... الحرية الدينية .

وبين هذه الفئة من أعداء الاسلام من يعتقد أنه يجب إبعاد المسلمين عن المناصب السياسية والادارة المحلية والمجالس البلدية ودوائر السلك الخارجي ... وحتى عن الشرطة والجيش ، فهم – أي أعداء الاسلام هؤلاء – بكل بساطة لا (يثقون) !! بأناس لا يشاطرونهم الخَلفيّة الدينية والثقافية . والمؤكد أن غالبية أفكارهم وأعمالهم هذه ناتجة عن جهلهم الشديد بالاسلام وهم يمثلون – نوعاً ما – العقلية الاستعمارية التي نجح في بسطها المستعمرون الإسبان والأميركان .

أما الفئة الثالثة من خصوم المسلمين فهي أخطر أعدائهم في

الفيليبين وهي فئة أصحاب المصالح الذين يتعاونون مع السياسيين لسلب أراضي المسلمين وإبعاد المسلمين إلى داخل البلاد – بعيداً عن السواحل[1] – ليعيشوا – إن استطاعوا – في مجاهل الغابات وشُعَب الجبال ، وهؤلاء الخصوم هم الذين يحاولون تحويل المسلمين إلى خدم « يحطبون الأشجار اليابسة وينقلون الماء » ، ومعظم هؤلاء المتوطنين في أراضي المسلمين هم من العناصر المرفوضة في مجتمعاتها نفسها فهم مجموعة من الأشرار والمحكومين والمجرمين. ونصيحتي للمتوطنين الخصوم هؤلاء أن يعمدوا لكسب ثقة المسلمين لأن مصلحتهم هي في كسب هذه الثقة .

٤ – والفئة الرابعة من خصوم المسلمين تتشكل من بعض موظفي الدولة في المناطق المسامة ... التي يتحول المسلمون فيها تدريجياً ... إلى أقلية ، فهؤلاء يعارضون جهود المسلمين في فتح المدارس وإقامة الشعائر الاسلامية ، ويحمون المجرمين الذين يعتدون على المسلمين بينما يعاقبون بقسوة وشدة كل مسلم قد يشط عن القوانين المدنية المرعية ، وهم – أي الخصوم – ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي تخلو فيه تماماً بلدياتهم من أي مسلم .. ! ومن السخرية حقاً أن يكون هؤلاء الاداريون الظالمون هم أبناء المستوطنين الجدد الذين كرهوا العيش في مناطقهم الأصلية ولاذوا

---

(١) كتب غلاة المستعمرين الانكليز والفرنسيين كثيراً عن هذا الموضوع وحاولوا تطبيقه في شرقي البحر الأبيض المتوسط وأعني إبعاد المسلمين عن السواحل وطردهم باتجاه الصحراء !! المترجم

بحمى المسلمين فوجـدوا بين المسلمين الضيافة والرعاية وحسن الجوار .

٥ - أما الفئة الخامسة من خصوم المسلمين في الفيليبين فهي بعض الموظفين الحكوميين الذين يعاملون المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية إن لم نقل يعاملونهم كالعبيد وكأنما الدولة هـي استمرار للاستعمار الأجنبي وظهور هؤلاء الموظفين بهـذا المظهر يقود المسلمين للاعتقاد أن الحكومة الحالية لا تختلف أبداً عن الحكومة الاسبانية الاستعمارية السابقة ، حتى ان بعض المسلمين يعتبرون الحكومة المركزية في مانيلا حكومة اجنبية – وهذا أمر منطقي – ومن هنا نشأ عدم اهتمام المسلمين بالقوانين التي تصدرها هذه الحكومة .

٦ – أما الفئة السادسة التي تعادي الاسلام فهي مجموعة من الباحثين والمستشرقين الخبثاء – من محليين وأجانب – الذين يجرون دراسات على المسلمين بقصد التجسس عليهم وجمـع معلومات لأغراض مريبة ، ويحاول هؤلاء ان يبرهنوا بالاحصاءات أو بالملاحظات التي جمعوها أن الإسلام في الفيلبين ليس له جذور عميقة في نفوس المسلمين – كذا – ، حتى أنهـم أي هؤلاء المستشرقين – وصلوا لدرجة محاولة إقناع المسلمين أنفسم بأن الإسلام عندهم سطحي وغايتهم من ذلـك ان يهمل المسلمون معتقداتهم الدينية على أساس ان الثقافة الإسلامية ليست متأصلة فيهم .

وأغلب المؤتمرات التي يقيمها هؤلاء في موضوعات إسلامية لهـــا دوافع ليست في صالح المسلمين ، ويحاول هؤلاء الخصوم إشاعة الخلاف بين المسلمين وتعمية المسلمين عن حقائق دينهم .

ويحذّر الله المسلمين في كتابه الكريم !

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم* »

(*) سورة آل عمران

الفصل السادس

الأعداء ... في الداخل

... ولكن كل هؤلاء الأعداء الخارجيين للاسلام والمسلمين في الفيليبين لا يوازون في ضررهم وأذاهم أعداء المسلمين من داخل مجتمعاتهم ، وما كان لهؤلاء الأعداء في الخارج أي تأثير لو لم يكن لهم بعض « الحلفاء » من بين (المسلمين) !! أنفسهم ، ومن بين أعداء الداخل – ولو أنهم ليسوا على علاقة ظاهرة بأعداء الخارج – ، الناس الذين يضعفون المسلمين بأقوالهم أو بأعمالهم أو بالاثنين معاً ، وهذا أكبر عون لأعداء المسلمين في الخارج .

وأعداء المسلمين من داخلهم هم :

١ – الزعماء المسلمون الذين لا يستطيعون التمييز بين زعامة سياسية وزعامة إسلامية ويستغلون حقيقة ولادتهم من أبوين مسلمين ليطالبوا بدعم وتأييد الجماهير المسلمة لهم، وهم في الواقع

يستعملون الاسلام كأداة وواسطة لتقويـــة نفوذهم الشخصي والسياسي وتنمية مصالحهم العائلية مع أنهم لا يظهرون أي تقوى ولا يعرفون ... حتى الحد الأدنى من العلوم الاسلامية ، وعندما يجتمع هؤلاء بزعماء غير مسلمين يجهدون أنفسهم للظهور أمـام هؤلاء بأنهم ليسوا مسلمين صالحين حتى يقنعوا !! غير المسلمين بأنهم « غير متعصبين » !! وأنهم (مودرن) !! وأنهم جزء من الشلة ... المتطورة !! العصرية !! التقدمية !! ، إنهـم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور لينالوا تهنئـــة !! وإعجاب !! غـــير المسلمين « بعصريتهم » . . و « تطورهم » ، وفي سياق محاولاتهم للكسب الشخصي أو السياسي لا يجنون – في الواقع– إلا السخرية والهزء الذي يستحقون ، أما في خطبهم السياسية أمام المسلمين فانهم يسعون لاقناع الجماهير بأنهم يعملون للاسلام ولصالح المسلمين ، والكارثة ... هـي في اقتناع بعض بسطاء المسلمين بهذا الكلام! والمؤسف ان هؤلاء البسطاء لا يستطيعون تمييز الرجال الاتقياء مـــن الرجال الفساق ولا يفرقون بين المخلصين والمنافقين .

٢ – هناك بعض الزعماء الذين يملكون قدراً من الوعي الإسلامي والتقوى إلا انهم ينسون أحياناً واجباتهم تجاه جماهير المسلمين إذ يحابون اقرباءهم وانسباءهم ، ولا يقفون ، في أحيان كثيرة ، مع الزعماء المسلمين المعترف لهم بالمكانة والمهـــارة والقدرة ، بل يفضلون مساعدة ذوي قرباهم وينسون الآيـــة الكريمة التي تقول :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » [١]

« واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم [٢] » .

٣ ــ ومن أعداء الداخل فئة الذين مكنوا غير المسلمين من امتلاك أراضي المسلمين بسبب جشعهم أو بسبب غبائهم أو بسبب ابداء شهامة في غير محلها ، ونحن نرى في هذه الأيام بالذات النتائج الواضحة لتساهل هؤلاء في التنازل عن أراضي المسلمين ، لم يدر بخلد هؤلاء انه سيأتي يوم يرى المسلمون أنفسهم فيه « غرباء » في أراضي آبائهم وأجدادهم ، لقد نسوا درس فلسطين حيث سمح بعض العرب للصهانية بالعيش معهم وشراء أراضيهم فوصل هؤلاء الصهاينة اليهود لدرجة من القوة جعلتهم يستولون على فلسطين ويصبح أهل فلسطين الأصليون تائهين في العالم مثلما كان قدماء اليهود .

٤ ــ ومن أعداء الداخل بعض « المسلمين » الذين يجمعون المال باسم المشاريع الإسلامية من المؤمنين الأبرياء ويضعونها في جيوبهم وفي خدمة عائلاتهم .

---

(١) سورة النساء .

(٢) سورة الأنفال .

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون[1] » إن هؤلاء ليسوا مسلمين متراخين في تطبيق تعاليم إسلامهم فقط .. بل هم في الواقع مجموعة من المحتالين لا يجلبون للجماهير المسلمة إلا السمعة السيئة بخاصة عندما يطلبون التبرعات والمساعدات – مثل الشحاذين – من المسلمين من خارج الفيليبين ... ومن غير المسلمين أيضاً !. وعلى نمط هؤلاء هناك فئة من « رجال الدين » المسلمين – مع عدم جواز هذا التعبير الذين يستغلون بعض « علمهم » أو « حجتهم » ليسألوا المؤمنين براً أو « زكاة » ويصرفونها على أنفهسم ، ومن أوجه الإسلام الناصعة رفضه لكل كهنوتية أو رهبنة ليمنع استغلال المؤمنين ، ولكن . بطريقة ... أو بأخرى يفرض بعض هؤلاء أنفسهم كرجال دين ليلعبوا دور الوسيط بين العبد وربه .

« يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم[2] » .

« ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها[3] » .

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة التوبة .
(٣) سورة الحديد .

٥ — ومن أعداء المسلمين في الداخـل بعض الذين يظهرون كمسلمين أمام المسلمين . أما عندما يكونون مع غير المسلمين فانهم (يخجلون) من إعلان إسلامهم أو يتصرفون كأنهم غير مسلمين حتى أن بعضهم يرفض أن يرد السلام لمسلم حيّاه خوفاً من أن يظهر أنه مخالف للمسيحيين .

« ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولّوا إليه وهم يجمحون »[١] .

وأغلب هؤلاء الذين (يخجلون) ! من إعلان إسلامهم أمام الغير هم من ضعاف النفوس الذين لم يتقوّوا بأركان الاسلام ، إذ أُقنعوا أن الاسلام هـو سبب التخلف الاقتصادي في المناطق المسلمة ، وأن الاسلام يعارض التقدم ؟! أو أنهم لا يريدون القيام بما يطلبه الاسلام منهم ويعتبرون تكاليفه المسلكية (عبئاً) ! عليهم ، والذي يجهله هؤلاء أصحاب النفوس الضعيفة الخوّارة ان المؤمن الحقيقي — بأي دين من الأديان السماوية — يميل لاحترام الشعائر الدينية عند الغير ، وبعض هؤلاء المؤمنين يحترمون ويقدرون المسلم المؤمن الحق .

٦ — ومن خصوم جماهير المسلمين بعض « المسلمين » الذين يتجاهلون تعاليم الإسلام وفروضه في المعامـلات فيستغلون اخوانهم المسلمين العاملين عندهم ولا يؤدونهم أجورهم كاملة كما يستحقونها ليزيدوا من غناهم ويجمعوا رؤوس أموالهم من تعب

---

(١) سورة التوبة .

وعرق هؤلاء العمال الكادحين ويتناسى هؤلاء ان الله جعل المال في أيدينا أمانة لصالح الأمة جميعها ، وهذا الاستغلال للعمال الكادحين لا يختلف في معناه عن الربا الفاحش ويكفي انتذكر كلمات الله البيّنات إذْ يقول في محكم كتابه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا [1] » .

« وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون [2] »

والمسلمون الذين يستغلون المسلمين الآخرين هم أعداء للاسلام ولأمّة الإسلام فهم لا ينحرفون فقط عن عقيدة الاسلام بل يضعفون الأمة المسلمة بخلق تفاوت اقتصادي وظلم اجتماعي كبير يؤديان إلى تفرق وانقسام ويأتون بما يسميه القرآن الكريم « الفساد في الأرض » ، وبعض هؤلاء يظهرون بعض « أعراض » التقى ولكنهم في الواقع منافقون يكذبون بالدين ، هؤلاء هم الذين يصفهم القرآن الكريم في سورة الماعون .

« أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يُراؤون ويمنعون الماعون »

٧ — ومن أمكر وأخوَن أعداء المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم فئة الجواسيس الذين جعلهم جشعهم وطمعهم عملاء

---

(١) سورة البقرة .

(٢) سوره الروم .

للأعداء يتجسسون على المسلمين وينقلون لأعدائهم كل نشاطات وأخبار المسلمين ولقد كان في عهد الرسول الكريم فئة المنافقين واليهود الذين كانـــوا يستمعون إليه ثم يحرّفون الكلم عن مواضعه وينقلون الأخبار لأعداء المسلمين – المهاجرين والأنصار – وفي هؤلاء جاء التنزيل المحكم في سورة المائدة :

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب اليم » صدق الله العظيم .

ويجب على مسلمي الفيلبين تحاشي هـــذه الفئة الخائنة من الجواسيس وعزلها بأي ثمن وعدم الثقة بهـــا أبداً ، والله تعالى يقول عن الخوانين في سورة النساء .

« ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » صدق الله العظيم .

٨ – وهناك فئة بين جماهير المسلمين ليست عدّوة للاسلام ولكنها كثيراً ما تقوي أعداءالاسلام عن طريق أخطائها ، ومن هؤلاء الذين يرون المظالم في مجتمعهم فلا يحاولون تخفيفها أو استئصالها ويقولون ان هذا ليس من شأنهم ، ومن هؤلاء من لا

يبذل أي جهد لمعرفة مزيد من الحقائق عن الاسلام وينسون ان طلب العلم - بخاصة علوم الاسلام - ونشره فريضة على كل مسلم ، وهؤلاء القاعدون عن طلب العـــلم يسببون للمسلمين الهزء من اعدائهم ويغنون (إحصاءات) ! المستشرقين الغربيين عن نسبة الأمية والجهل بين المسلمين ويهتبل المستشرقون هذا الواقع لإقناع العالم بأن المسلمين الحقيقيين هم قلة قليلة !! ،

والمسلمون الذين لا يبذلون أي جهـــد لتحسين معاشهم ومستواهم الاقتصادي ولا يسعون في تنمية تجارتهم ويستطيب بعضهم البقاء عالة طفيلية على اقربائهم او زعمائهم الاغنياء ... هؤلاء جميعاً لا يفيد منهم مجتمعهم لا يسهمون في تحسين أوضاعه بل على العكس ، إنهم يضعفونه ويعرضونه للأخطار الخارجيه ، وينسى أيضاً هؤلاء ان النبي محمداً ﷺ كان نفسه يعمل بالتجارة ويشجع كل النشاطات الاقتصادية المباحة ، ومن واجب المسلم ان يعمل صالحاً لدنياه ولآخرته ويكفي ان نتذكر الآيات التي تردد في كل صلاة :

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار [١] »

---

(١) البقره .

الفصل السابع

ماذا يمكن القيام به الآن ؟!

على مسلمي الفيلبين ان يعوا تماماً ان المجتمع المسلم في الفيلبين معرّض لخطر الزوال . هذه ليست صرخة منذر أطلقها عن عاطفة ... بل هو فعلاً خطر واقـــع ظهر نتيجة تقييم دقيق متأن لكل العوامل التاريخية ، وهذه حقيقة يعرفها ... حتى أغبى الساسة المسلمين في هذا البلد .

وليس الأمر مقصوراً على عدم سماح قوانين الدول بتطبيق المبادىء الأساسية لشريعة الاسلام ، كذلك ليس الأمر مقصوراً على ان بعض المسلمين غير مبالين بتطبيق تعاليم الاسلام .. إن الحقائق تظهر ان قتل المسلمين — وهم في غالبيتهم مزارعون مسالمون عزّل — يتتابـع يومياً إما على يد الشرطة أو الجيش أو على يد العصابات المسيحية المسلحة في المقاطعات المسلمة ، وبعض

هذه العصابات هم من الأشقياء المجرمين الذين يغض المسؤلون الحكوميون الطرف عنهم ولا يعارضون أعمالهم في القتل المستمر، ولم تتخذ الحكومة أي تدابير جذرية لإيقاف مذابح المسلمين بل ولم تعمد لإيقاف تهديم المساجد وحرق بيوت المسلمين فذبح المسلمين وتهجيرهم وإهمال الحكومة لتسجيل أراضيهم باسمهم وتشجيع استيطان غير المسلمين في أراضي المسلمين، وأعمال المبشرين المعروفة . . كل ذلك يشير إما إلى خطة مرسومة أو لتلاقي سائر هذه القوى التي ترغب في تحطيم مجتمعات المسلمين في الفيليبين. أما من هو الدماغ الموجه الذي خطط هذا المشروع الوحشي البشع—في حال وجود مشروع مبيّت—فهذا أمر آخر! ومن الواقع العملي ومن دراسة مـا يجري الآن يمكن أن نجزم قاطعين أن هناك فئات عدة تسعى متفرقة – في خطوط متوازية أو متجمعة – في عمليـــة تآمرية لتحطيم الوجود الاسلامي في الفيليبين، وإذا أنكر ذلك بعض « زعماء » المسلمين فذلك إما لتجاهلهم الحقائق أو لنفاقهم المفضوح أو لقبولهم الضمني بما يجري ولا يمكننا أن ننكر احـتمال وجود « زعماء » للمسلمين لعبوا هم أنفسهم دوراً قذراً في مساعدة أعداء الجماهير الفيليبينية المسلمة، بدهاء أو بغباء .

والموضوع الأساسي الذي يواجه مسلمي الفيليبين الآن هو : هل يرغب مسلمو الفيليبين بالحفاظ على مجتمعهم المسلم ... المجتمع الذي يشهد بوحدانية الله ونبوة محمد ﷺ ويعضُّ بالنواجذ على أركان الاسلام في حياته ؟

وليس هذا السؤال مشابهاً للسؤال الآخر :

هل يريد المسلمون العيش أم لا ؟

وأعيد السؤال الأول موضحاً :

هل يريد المسلمون الحفاظ على وجودهم كأمة ؟

إذا كان الجواب : لا ، فليس هناك فائدة إذن من العمل على تماسك المجتمع المسلم والاحتفاظ بالاسلام . إذا لم يوجد أحد يهتم بالاسلام فالأمة في غنىً عن هؤلاء إذ يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم »[1] . « ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتِ بآخرين وكان الله على ذلك قديرا »[2] .

وهذا يعني أن المسلم الذي لا يرغب في البقاء مسلماً . يخسر خسراناً مبيناً ، والله قادر على إيجاد قوم آخرين يخصهم بفضله وبركته ورحمته وحمايته .

ومن التناقض الواضح بل من المستحيل ديناً وشرعاً أن يبقى الإنسان مسلماً إن لم يدعُ لقيام مجتمع مسلم فالقرآن الكريم

---

(١) سوره المائده .

(٢) سوره النساء .

يتحدث كثيراً عن « المؤمنين » بصفة الجمع وكثير من آياته تركّز على الصلات الاجتماعية بين المؤمنين وعلى سلوكهم الجماعي تجاه غير المسلمين ، والرسول الكريم استجاب لأمر ربه وأسس الأمة المسلمة ، وأكثر قراءاتنا في الصلاة نستعملها بصيغة الجمع أيضاً ، أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى دعانا لنعمل كأمّة واحدة .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم « أمّة » يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[1]

وركنان من أركان الاسلام الخمسة ـ الزكاة والحج ـ يعكسان الطابع الجماعي ، بالاضافة لاشارات وعبادات ومؤسسات عدة تعني وحدة المسلمين وانتماءهم لأمّة واحدة كالتحية وصلاة الجمعة ... الخ .*

والبرهان واضح على أن المسلم لا يكمل إسلامه ما لم يعمل لوحدة وتماسك الأمة المسلمة وخيرها ورفاهها الاجتماعي

---

(١) سوره آل عمران .

* ألفت نظر القارىء الكريم إلى أن هذا الكتيب موجه إلى مسلمي الفيليبين الذين عزلهم الاستعمار والتبشير لفتره طويلة عن مصادر وإمكانات العلوم الاسلامية لذلك يبسط لهم الدكتور قيصر مفاهيم الاسلام الأساسية التي قد يجهلها عدد منهم ، (المترجم)

والاقتصادي ، وقبل أن تكتسب الأمة هذه المميزات،على الفرد المسلم واجب تنمية فضائل الإسلام في نفسه كالشجاعة في الحق والثبات على المبدأ والطهارة والصدق والعزة والترفع عن الدنايا وحب العلم والرحمة والتواضع وعمل الخير ، يجب على المسلم أداء حق الله في خدمته وطاعته وخوفه وعبادته وتمجيده وذكره دائماً، يقول الله تعالى في محكم تنزيله « إنني انا الله لا اله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري[1] ».

« رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته[2] »

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون[3] »

« والذين آمنوا اشد حباً لله[4] »

« يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة واصيلا[5] »

ولا يكفي ان يؤدي المسلم عبادته اليوميه بل عليه — كجزء من هذه العبادة — ان يتعود على تلاوة القرآن باستمرار ، وللذين لا يعرفون اللغة العربية توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم قام بها

---

(١) سورة طه .

(٢) سورة مريم .

(٣) سورة الأنفال .

(٤) سورة البقرة .

(٥) سورة الأحزاب :

مسلمون ، يمكن الاعتماد عليها ، وعلى الشباب المسلم المثقف في جنوب الفيلبين أن يبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المحلية التي يتكلمها المسلمون هناك (لغة توسوك ، وماراناو ، وماجنداناو) ومن الضروري دراسة سيرة النـــبي الكريم وأساسيات الشريعة الإسلامية إذا تيسر ذلـــك ، ولا احتاج لتذكير المسلمين بان طلب العلم والمعرفة واجب إسلامي فالقرآن الكريم يقول :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الألباب[1] »

« وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[2] »

« وقل رب زدني علما[3] »

والمهم – على المدى البعيد – هو درجة الوعي والالتزام الإسلامين عند كل مسلم ، ونوعية المسلم تُقيّم حسب نوعية وعيه والتزامه وهذا أهم بكثير من نسبة المسلمين العددية في المجتمع ،

وعلى المجتمع المسلم ان يلفظ من وسطه كل من لا يهتم ويعمل وكل من ينافق متأرجحاً بين الإسلام وخصومه ، والواقع إن « اللا أباليين » و « غير الملتزمين » هم عبء على المسلمين ومصدر

(١) سورة الزمر .
(٢) سورة الجاثية .
(٣) سوره طه .

احراج للمؤمنين الصادقين ومن الأفضل فقدانهم إن لم يكن هناك أمل في رجوعهم إلى الصراط المستقيم ، يقول الله تعالى في موضوع الكم والكيف .

« يا ايها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون[١] »

والعائلة هي الركيزة الأساسية الهامة في المجتمع الاسلامي ، فعلى الوالدين ان يكونا المثال الحي لأولادهما في التقوى والفضائل الاسلامية ، يقول الله تعالى في كتابة العزيز :

« والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما[٢] ».

ويأمر الاسلام بطاعة الوالدين – فيما يرضي الله – وباحترامهما ، وعلى المسلم المؤمن أن يدعو لهما بالصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

« وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »[٣] .

أما الأهل الذين يحيدون عن طريق الواجبات الإسلامية

(١، ٢) سوره الأنفال .
(٣) سوره بني اسرائيل .

ويوجهون أولادهم وجهة الشر فليس على أولادهم طاعتهم .

« ووصينا الانسان بوالديه حُسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك بـــه علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون »[1] .

وعلى الوالدين واجب تعليم الأولاد أركان الاسلام وعند عدم وجود مدرسين للدين يتحمل الوالدان مهمة تدريب الأولاد على اداء العبارات وتذكيرهم دائماً انهم مسلمون وأنهم جزء من أمّة الإسلام ، وان الاسلام هو هويتهم ، وعلى البيت المسلم ان يشهد صلاة الوالدين مع أولادهما جنباً لجنب .

« في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »[2] .

هذه هي بيوت المؤمنين الصادقين والحديث القدسي يقول :

« ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبـــدي المؤمن » .

ومن الأمور الحيوية الهامـــة للعائلة المسلمة العنايـــة بالمرأة وحمايتها ومعاملتها معاملة حسنة عادلة وتربيتها وتعليمها ، ولقد خلق الله المرأة بدءاً لتكون نعمـــة للرجل ومستودع الحب والرحمة ، يقول الله تعالى :

« ومن اياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها

---

(١) سوره العنكبوت .

(٢) سوره النور .

وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[1] »

وبعكس مـا يقول المغرضون المخربون ، فالاسلام لم يجعل للمرأة قيمة دنيا فكل عباد الله متساوون أمامه لا يتميزون عن بعضهم إلا بالتقوى والخلق القويم ،

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير[2] »

والله يوضح حقوق وواجبات الرجال والنساء ، فعلى الرجال واجب حماية المرأة ورعايتها والتكلف بالانفاق عليها وفي هذا المجال فقط يتميز الرجل لقوامته ·

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم[3] »

وعلى المرأة جزء كبير من المسؤولية في حفظ النظام الاجتماعي ومستواه الأخلاقي ، والجزء الأكبر من سعادة البيت والعائلة وفضائلها متوقف على اخلاق وأعمال النساء لذلك يؤكد القرآن الكريم دائماً على صبر وشرف وتواضع المرأة لأنها هي التي تعنى عادة بالأولاد وتتوقف اخلاق هؤلاء الأولاد – إلى حد كبير – على المثل الذي تعطيه الأم، لهذا من الضروري والهام في المجتمع المسلم ان تكون المرأة متعلمة متدربة ليس فقط على أمور التدبير

---

(١) سوره الروم .
(٢) سوره الحجرات .
(٣) سوره النساء .

المنزلي بل في الامور الأكادمية الأخرى بالاضافة لعلمها بأركان الاسلام ، فالمرأة الجاهلة لا تستطيع تربية الأولاد تربية صالحة والأم الضعيفة الخوّارة تنجب عادة أولاداً على شاكلتها ، أما الأم المجاهدة العارفة بأمور الإسلام فباستطاعتها تربية أولادها على فهم الاسلام والعمل من أجله باعطائها المثل الصالـــح لهم . لذلك كله من واجب المسلمين ان يعنوا بالمرأة أماً وأختاً وبيتاً وزوجاً وأن يعلموها أركان الاسلام ويربوها على أخلاق الاسلام وفضائله ، وعندما تحفظ كرامة المرأة فلا تهان لا في البيت ولا خارجـــه تصبح عزيزة كريمة واثقة بنفسها متزنة في تفكيرها وأعمالها تقوّي بنيان الأسرة بالحب والاحترام المتبادل ، وتصبح دعامة من دعائم المجتمع .

والمسلمون جميعاً مطالبون بسلوك معيّن فيما بينهم .. مثلاً :

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا »[1] .

« فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم تحية من عنـــد الله مباركة طيّبة »[2] .

ومن المؤسف أن يكون بعض المسلمين في الفيلبين مستعدين لتبادل السلام فيما بينهم شرط أنلا يكون بينهم غير مسلم... !! كأنما يخافون أن يُحسبوا متخلّفين عن بقية الفيلبينيين ، والواقع

(١) سورة النساء .

(٢) سورة النور .

ان المسلمين يختلفون عن غيرهم في أمور هامـــة كثيرة فاذا ظن هؤلاء ان عدم رد السلام أمام غير المسلمين يجعلهم «غير متخلفين» عن هؤلاء فهم ... واهمون ، وغير المسلمين في الفيلبين ينظرون دائماً للمسلمين على انهم متخلفون عنهم رضي المسلمون ذلك أم لا .

فعلى المسلمين أن يواجهوا هذه الحقيقة الواقعة ويعتزّوا لأن الله تعالى ميّزهم عن غيرهم حين جعلهم خير أمة أخرجت للناس.. إذا اتبعوا حقاً تعاليم الاسلام .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[١].

وعندما يحيي المسلم أخاه ويرد الأخير عليه بتحيّة مثلها أو أحسن منها يؤكدان كلاهما انهما ينتميان لخير أمّة ، وعندما يرد المسلم تحية أخيه المسلم الآخر يعلن في الواقع قبوله باخوّة الاسلام ورابطة الايمان « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقُل سلام عليكم »[٢] .

وشرف اطلاق التحية الاسلامية يستدعي من المحيّى أن يرد التحية لعلّها تكون تذكرة لكليهما بانهما مسلمان وان على عاتقهما مسؤوليات وتبعات يجب تأديتها . والواقع أن غـــير المسلمين يقدرون ويحترمون المسلمين عندما يرونهـم يتبادلون السلام خاصة عندما يفهم هؤلاء معنى ومغزى تحية الاسلام ،وأنا

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) سوره الانعام ،

أعرف عدداً من غير المسلمين يتحسرون ندماً لعدم شمولهم بهذه التحية المباركة الخيّرة ، وفضلاً عن كل ما ذكرته في هذه التحية فانها على كل حال تحية أهل الجنة يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« وأدخل الذين آمنــوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيّتهم فيها سلام »[1] .

« وتحيتهم يوم يلقونه سلام »[2] .

فعلى المسلمين إهمال من يحاول الهزء بهم أو يسعى لإبعاد المؤمنين عن إسلامهم ، وعليهم أن يجتنبوا هؤلاء فلا صداقة معهم ولا ثقة بهم ، وعدم إطلاعهم على أية معلومات قد تُستخدم فيما بعد ضد أمة المسلمين ، والله تعالى يقول في محكم تنزيله : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فان العزة لله جميعاً »[3] .

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » .

وكل من يغري المسلمين بالمعونات المالية والبعثات والمساعدات المالية والرحلات والاسفار ليضعفوا التزاماتهم الإسلامية وولاءهم لأمة الإسلام أو ليستخدموهم كعملاء وجواسيس .. كل من يقوم بهــذا العمل خارج عن الإسلام جاحد لمبادئه كافر بتعاليمه ،

---

(١) سوره ابراهيم .
(٢) سوره الاحزاب .
(٣) سوره النساء .

وهؤلاء ليسوا أصدقاء بل أعداء وعلى المسلمين الابتعـاد لأنهم في الواقع أهل الفساد والإفساد يحاولون الرشوة وزرع الشرور والمفاسد في المجتمع المسلم فالمسلمون المؤمنون حقاً يثقون فقط باخوانهم أمثالهم من المؤمنين الصادقين وهذا لا يعني ألا يتعامل المسلمون مع غيرهم ويوطدّوا علاقات زمالة وتجارة مع غير المسلمين من أصحاب النيات الحسنة .. وهناك كثير منهم .

وبسبب الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الفيليبين ،ونظراً لكون المجتمعات المسلمة – طبيعياً – مجتمعات دينية ، يوجد في الفليبين زعامات متنوعة في هذه المجتمعات زعامات دينية ، وزعامات دينية سياسية ،لنبحث أولاً الزعامات الدينية : الواقع ان هؤلاء ، بالاضافة للمثقفين الذين تعمقوا في الدراسات الإسلامية ، يمثلون ... « العلماء » ولقد وُجد في الماضي مستويات مختلفة بين هؤلاء العلماء حسب ضعف أو متانة الصلة مع مراكز الإسلام الأخرى وفُرص السفر ، ووجود الحرب أوالسلم النسبي ، وكثير من العلماء جاهدوا المستعمر الغازي في الماضي واستشهدوا في ساحات المعـــارك ، وكانوا يعدّلون من تطرّف الحكام وظلمهم ويذكرونهم بواجباتهم الاسلامية ، ولا ننكر ان بعض « العلماء » كانوا – مع الأسف – يبررون تعسف الحكام ويدعون لطاعتهم والولاء لهم ، كما ان بعض العلماء تكاسلوا عن السعي للمزيد من العلم ولم يخلُ تفكيرهم من بقايا الرواسب الجاهلية ، إلا أنهم ، بصورة عامة ، كانوا دائماً يعملون للحفاظ على وحدة المجتمعات الاسلامية وقيمتها الاسلامية .

وواجب المؤمنين في هذا الوقت ان يعملوا لايجاد فئة من العلماء المتضلعين بأمور الاسلام الدنيوية بالاضافة إلى تضلّعهم بالنواحي التعبديّة ، وبتعبير أصرح وأوضح ... على العلماء المسلمين أن يزيدوا من معلوماتهم عن الأمور السياسية والدولية للشعوب المسلمة كلها ، ويقوّوا مكتسباتهم الدينية بآداب الاسلام والعلوم الطبيعية والاجتماعية بخاصة علم الاجتماع ، ومن المستحسن والأفضل أن يكون للعالم صنعة أو حرفة أو تجارة يستطيع بواسطتها أن يكفي نفسه وعائلته اقتصادياً ومالياً ولا يبقى عالة على الوجهاء المحليين لكفايته ، فاذا فعل ذلك تمكن من الوقوف بشجاعة أكثر أمام الحكام لتقويم اعوجاجهم وأمام الوجهاء لنصحهم وإرشادهم وتحذيرهم إذا حادوا جميعاً عن مبادىء الاسلام .

على أن يكون احترام عامة المسلمين لهؤلاء العلماء بالقدر الذي يستحقّونه دون زيادة في التبجيل والتعظيم حتى لا يميل بعض العلماء لتقليد (كهنة) الأديان الأخرى ، ويرتفع قدر العالم عادة بقدر علمه ، والمؤمنون يستطيعون – من حيث المبدأ – رفض الصلاة خلْف إمام لا يكون قدوة للمسلمين في حياته وتقواه ، وكذلك عليهم دعم الامام وتشجيعه في مواقف الصلابة حفاظاً على مبادىء الاسلام حتى ولو أدّى ذلك لخسارة تأييد الزعماء السياسيين ، فالعلماء الأحرار هم درة المجتمع الاسلامي ودعامته المتينة لأنهم يؤدون حق الله عليهم في النصح والإرشاد والوعظ والتوجيه والتحذير منذ عهد الخلفاء الراشدين .

وأي « عالم » يُصبحُ «العوبة » أو أداة بيد الزعماءالسياسيين يجب أن يترك ويُهمل لأنه لا يجلب الخير لنفسه وللمجتمع من حوله .

وأعود لأؤكد ان واجب المسلمين فرادى ومجتمعين إيجاد العلماء الأحرار الأتقياء الأقوياء في الحق وتأمين كل ما يحتاجون له لتنمية علمهم وزيادة معرفتهم ليتمكنوا من العمل مستقلين عن الزعماء السياسيين .

هناك عدد من المسلمين من السياسيين الرسميين إلا أنهم لا يحملون عبء العمل الاسلامي ، بعضهم وصل لمنصبه بذكائه وماله ونفوذ عائلته أو بمعونة الآخرين عن طريق اللعبة الديموقراطية ، وهؤلاء قد لا يضرون المناطق التي يمثلونها في المؤسسات النيابية بل على العكس قد يجلبون لها بعض النفع المادي إلا أنهم ليسوا زعماء إسلاميين حقاً ، وهم لا يختلفون عن بقية السياسيين في البلد ولا يستطيعون تمثيل أو حمل رغبات المجتمع المسلم ، والمشكلة هي انه في حال زوالهم عن مراكز السلطة قد يحل محلهم زعماء غير مسلمين وقد يكون هؤلاء الأخيرون نشيطين فاعلين في عداوتهم للمسلمين .

وهناك بعض الزعماء الذين يدّعون انهم يتكلمون باسم المسلمين ويطلبون الدعم على أساس أنهم يمثلون ويحملون رغبات المسلمين ومطالبهم ، وهؤلاء الزعماء يتنافسون فيما بينهم على نيل التأييد السياسي من المسلمين ، ومن حقّ جماهير المسلمين في هذه الحالة

وضع بعض الشروط والقيود ليحصل الدعم والتأييد على أساسها فقط . ومنها :

أولاً – يجب على الزعماء أن يكونوا اتقياء أي أنهم يجب أن يؤدوا عباداتهم ويتمسكوا بأهداب الدين .

ثانياً – يجب أن يكونوا متعمقين في العلوم الاسلامية قادرين على القيام بدور الإمام بكل مسؤولياته ومتطلباته ، وإعطاء القدوة الصالحة للمؤمنين بحضورهم صلاة الجمعة معهم – على الأقل – ، ويجب أن تكون حياتهم العامة والخاصة مثالاً يُحتذى في الصدق والأمانة والنزاهة والصلابة في الحق ، والبعد عن استغلال الاسلام لمصالحهم الفردية أو العائلية ليتجرّدوا كلياً لمصلحة عامة المسلمين حتى ولو ضحوا بكل ما يملكون في سبيل ذلك .

ثالثاً – يمكن تناسي ماضي هؤلاء الزعماء في « جاهليتهم » شرط ان لا يعودوا إلى شيء منه ولا تنس ان بعض أعدى أعداء الاسلام في الجاهلية أصبحوا – بعد اسلامهم – أنصع الصور الحية للاسلام وكانو أبطال جهاده .

رابعاً – على هؤلاء الزعماء ان يرتفعوا فوق العنعنات المحلية والاقليمية والعنصرية والقومية ، وعلى شباب الاسلام وعلمائه ان يكونوا شهوداً على هؤلاء ، يمنعونهم في الانجراف في تيارات الضلالة هذه والزعيم المسلم الحق لا يخدع المؤمنين ولا يعرف النفاق :

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً[1] »

---

(١) سوره الأحزاب .

ويُسر اعداء الاسلام ان يروا المسلمين شيعاً واحزاباً بسبب الاختلاف اللغوي والاقليمي الا ان أعـــداء الاسلام هؤلاء لا يكتفون بذلك بل يرغبون في تفتيت التجمع الجغرافي للمسلمين وبعثرتهم في مناطق متعددة لتمزيق هذه الوحدة الطبيعية حتى تنحل تدريجياً عُرى الجماعة المسلمة. ومسلموا الفيليبين هم أقلية في بلادهم فإذا تفرّق جمعهم في انحاء البلاد سيصبح المجتمع المسلم أثراً بعد عين ، لذا فمن أهم الضرورات الحيوية ان يحتفظ المسلمون بالأرض التي يعيشون عليهم الآن وان لا يبيعوا شبراً منها لغير المسلمين . وهناك كثير من الظامعين بأراضي المسلمين الآن لأسباب وغايات متعددة . ومن المعلوم ان المسلمين دُفِعُوا وأجبروا في الماضي ليصبحوا مسيحيين لسبب واحد فقط هو إقتسام أراضيهم مع المسيحيين أو لاعطاء قسم منها للمبشرين ، وفي تلك الحالات لم يسع المبشرين لاكتساب (النفوس) كما يدعون بل لاكتساب (الأراضي) !!

وعلى مسلمي الفيلبين أن يعملوا بارشادات المحامين المسلمين على تركيز ضغوط شديدة على الحكومة محلياً ومركزياً لكي تُسجّل أراضي المسلمين رسمياً باسمهم ويحصل كل مزارع مسلم على سجل عقاري بما يملك ،وعلى المسلمين مطالبة الحكومة أيضاً بايقاف تدفق غـــير المسلمين إلى أراضي المسلمين إلى أن يحصل المسلمون على سجل ملكيتهم للأرض . وعلى الحكومة الحفاظ على الأمن والنظام والسلام في هذه المناطق .

وواجب المسلمين أنفسهم القيام بجهد ذاتي لتحقيق مشاريع

للتنمية في مدنهم وقراهم وتشكيل تعاونيات بين المزارعين في سبيل مصالحهم الاقتصادية المتبادلة ، وإيجاد صلة وثيقة برجال الأعمال المسلمين في المدن الكبيرة .

على المسلم أن لا يقعد عن العمـــل الدائب إلا بسبب عائق عضوي يمنعه من ذلك والتساند والتعاون والتكافل في هذا المجال من الأمور الحيوية جداً لإيجاد عمل للعاطلين ومهنة أو حرفـة أو تجارة للقادرين ، والرسول الكريم – كما ذكرت سابقاً – كان تاجراً أميناً نشيطاً مقداماً .

وإذا لم يجد بعض المسلمين الريفيين عملاً في الريف يمكنهم الهجرة لأقرب مدينة ليشكلوا جزءاً من قطاع الكادحين في المدن ويقيموا نواة لمجتمعات مسلمة هناك والمأساة الحالية في بعض المدن الكبيرة هي في عدم إعطاء الفرصة للمسلمين لشراء أرض وبناء مسجد متواضع عليها ، فالمواطنون المسيحيون يكرهون !! وجود مسجد في وسطهم .

والعبء الأكبر لتحسين الوضع الاقتصادي للمسلمين يقع على عاتق الشباب ، فبالاضافة لمعلوماتهم الأساسية في شؤون الاقتصاد عندهم روح وثابة شجاعة ديناميكية تستطيع بناء المستقبل ، ولا حاجة للمسلمين الآن في زيادة عدد المحامين بينهم بل هم بحاجة لبعض الاقتصاديين .

ويجب الملاحظة هنا ان الازدهار الاقتصادي للفرد لا يعني بالضرورة ، التقدم الاقتصادي للمجتمع إذا كان هذا الفرد يعمل

فقط لمصلحته أو مصلحة عائلته، لذا فمن أجل التقدم الاقتصادي ومن أجل تحسين التربية والتعليم والمشاريع الاجتماعية الأخرى يجب تحسين وتطوير مؤسسة الزكاة وادارتها بنزاهة ودراية أكثر، وواجب العاملين عليها في المدن ان يكونوا مثال الأمانة والنزاهة، والغاية الأساسية من الزكاة هي المجتمع المسلم المتكافل الذي يستأصل العوز والفاقه، وجزاء العاملين في الزكاة هو رضى الله أولاً وآخراً.

وعلينا ان نعلم ان الاستغلال باي شكل من الأشكال محرم في المجتمع المسلم، وعلى هذا الأساس يقوم فيه النشاط التجاري والزراعي والصناعي، ولا فائدة للتنمية الاقتصادية في هذه المجالات ما لم تصاحبها القيم الاسلامية. يقول الله تعالى في كتابه الكريم.

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالأثم وأنتم تعلمون[1] »

والتبذير والبذخ، والبخل والشح، والمباهاة بالمظاهر ليست من قيم الاسلام يقول الله تعالى :

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين[2] »

---

(١) سوره البقره .
(٢) سوره الأعراف ،

ولكي نحقق غايات المجتمع المسلم على المنظمات الاسلامية ، بخاصة منظمات الشباب ، ان تلعب دوراً أكثر فاعلية ، ولا تسمح للهوى والانقسام ان يضعف صفوفهـــا ، ولا للسياسيين المحترفين ان يستغلوها ، وعليهـــا تنسيق اعمالها لنشر الوعي الاسلامي بين أعضائها وبين عامة المسلمين ، وعليها ان تقف صفاً واحداً أمام الحكومة وتطالب هذه الحكومة بالسماح لها بتطبيق بعض مبادىء الشريعة الإسلامية بخاصة فـــيما يتعلق بالزواج والطلاق ، ويجب ان يُثار هـــذا الموضوع على أساس الحرية الدينية للمواطنين سواء كانوا من الأقلية أو الأكثرية ، فالتقاليد الأخلاقية للأكثرية ليست هي ، بالضرورة ، التقاليد الحقة الوحيدة ! وليس على الأكثرية (احتكار).. « الاخلاق » وليس من حقها فرض هذه «الاخلاق» بقوّة القانون على الاقليات الدينية الأخرى .

وعلى المنظمات المسلمة ان تكشف رأساً وبـــدون تردد كل إساءة قد تسببها الحكومة للمسلمين سواء عن خطأ أو عن تعمدّ حتى تكون الأمة كالجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تألمت الأمة جميعها ، وعلى هـــذا فالواجب أن يكون لهذه المنظمات المسلمة ممثلون في كل مدينة وقرية بها مسلمون ، ليكونوا على اتصال وتعاون دائمين لرفع الحيف ومقاومة الظلم ساعة حدوثه .

وعلى المنظمات هذه ان تطالب الحكومة بالوقوف محايدة تماماً لا الانحياز إلى الجهد المعاكسة للمسلمين كما يحدث الآن في كل

نزاع على أرض بين المسلمين وغير المسلمين ، وليس من قبيل المبالغة القول ان الرسميين الحكوميين ، وقوات الجيش تميل عادة لاتهام المسلمين بكل ذنب ، وتقف هذه القوات مع الرسميين الحكوميين دائماً في صف أعداء المسلمين وإذا ادعت الحكومة انها غير قادرة على حماية المسلمين ان يطالبوها بالسماح لهم بالتسلح لحماية أنفسهم وهذا حقهم . إلى ان تستطيع الحكومة الدفاع عنهم وحمايتهم من اللصوص والدخلاء على مناطق المسلمين ، فاذا استطاع المسلمون حماية أنفسهم من أعداء الخارج وأعداء الداخل ، واستطاعوا تطهير نفوسهم من شوائب الجاهلية واتباع تعاليم الإسلام الواضحة الصريحة فسيكتسبون لمجتمعاتهم قوة وتماسكاً ويمكنهم الصمود لكل المحاولات التي تريد إبادتهم ، وهذا الأمر يستدعي تنظيماً أدق على جميع المستويات وعلى مختلف الجبهات ويستدعي الشعور الدائم بحمل الرسالة الواجبة الأداء بتخلصهم من الأهواء الشخصية والمصالح الفردية ، والعمل في اطار الجماعة ومصلحة الجماعة .

ومتى رأى غير المسلمين ان مسلمي الفيلبين يمثلون مجتمعاً متماسكاً موحداً قوياً افراده اخوة فيما بينهم يتعاونون في السراء والضراء ، يحترم هؤلاء حينئذ المسلمين في هذا البلد ... ومن يدري فقد تدفعهم رحمة الله إلى الرغبة في دخول الإسلام والانتماء إلى هذا المجتمع المسلم .

ومهما يكن الأمر فإن المجتمع القوي لا يسمح للمعوقين

والأعداء ان يُؤذوه .. دون أن ينالوا عقابهم السريع ، وعند ذلك يفكر الآخرون مرتين قبل الاقدام على اضطهاد المسلمين إذا علموا ان الثأر سيكون شديداً عاكساً قوة الجبهة الواحدة .

والمسلمون يواجهون الآن واجباً صعباً يحتاج لعمل دائم وتضحيات جسام على الطريق المؤدية للتضامن والوحدة . وهنا نتذكر قول الله عز وجل :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذ أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون[1] » .

ولقد وعد الله الصابرين والمجاهدين الخير في الدنيا والآخرة « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنّهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخره أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون[2] »

والله تعالى يحمي عباده الصالحين مثلما حمى المسلمين الأوائل القلة في المدينة المنوّرة في عهد الرسول الكريم :

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون[3] »

---

(١) سوره البقره .

(٢) سوره النحل .

(٣) سوره الأنفال .

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون[1] »

ويجد مسلمو الفيلبين اليوم أنفسهم في وضع مماثـــل تماثلاً كبيراً لوضع المسلمين القلة الأوائـــل في المدينة المنورة عندما واجهوا بني قومهم – كأعداء لهم – في مكة المكرمة ، ومن نعم الله علينا اننا نستطيـع التعلم والاستفادة كثيراً من جهاد وصبر المسلمين الأوائل ... فإذا وعيناهما حقاً سيكونان أساس بقائنا ... إن شاء الله .

(١) سوره المائده .

صدر حديثا عن مؤسسة الرسالة

ملتزم التوزيع لجميع مطبوعاتنا
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت ص. ب. ٧٤٦٠

السعر